ظاهرة الانتماء
في شعر المعتمد بن عباد

د/محمد حلمي البادي
مدرس الأدب العربي
كلية الآداب - جامعة كفرالشيخ

العدد السادس والثلاثون
يناير ٢٠١١ م

الحمد لله رب العالمين، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأميّ الذي علم المتعلم ... وبعد ...

فقد لفت نظري وأنا أدرس موضوع الشعر السياسي في الأندلس من الفتح إلى عصر المرابطين ظاهرة تستحق الدراسة والفحص، وهي أن شعراء الأندلس الوافدين عليها بعد الفتح كانوا يعتبرون هذه البلاد المفتوحة ليست بلادهم، وأن تطلعهم وولاءهم وانتماءهم إلى المشرق حيث المولد والنشأة والأهل والولد والأرض والوطن فشغفوا به، وحنوا إليه، وأن شعراء الأندلس في عصر الطوائف كانوا قد تأندلسوا تماماً من حيث المولد والنشأة والإقامة والشخصية، فكان ولاؤهم وانتماؤهم إلى الأندلس يفوق بكثير الفريق الأول.

يأتي على رأس الرعيل الأول الشاعر الأمير عبد الرحمن الداخل الذي أحس بالغربة في هذه البلاد، فحنّ وتشوق إلى بلاد الشرق، وقد عبر عن ذلك شعراً في أبيات منها [1] :

أيها الراكب المـيمم أرضي ... أقر مني بعضي السلام لبعض
إن جسمي كما تراه بأرض ... وفؤادي ومالكيه بأرض

ويقول أيضاً لما رأى نخلة وحيدة في مكان ناءٍ بعيداً عن وطن النخل[2] :

تبدتّ لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن وطن النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بنيّ وعن أهلي

أما شعراء عصر الطوائف الذين ولدوا فيها ونشأوا بها واتخذوها وطناً لهم فكان ولاؤهم وانتماؤهم إليها أشد وأقوى، وحبهم إليها يفوق بكثير الرعيل الأول، فها هو ابن الحداد يتمسك بالأندلس ولا يرضى عنها بديلاً حتى ولو كانت مصر أو بغداد[3]:

وكم خطبتني مصر في ود ودها ... ورامت بنا بغداد ورد فراتها
ولم أرض أرضاً غير مبدأ نشأتي ... ولو لحت شمساً في سماء ولاتها

وأما ابن خفاجة فيؤثر بلاد الأندلس على غيرها، فهي جنة الله في أرضه، حيث الخير الوفير، ولذا يقول [٤] :

يـــا أهـــل الأنـــدلس لله دركـــم مـــاء وظـــل وأنهـــار وأشـــجار
ماجنـــــة الله إلا في ديـــــاركم ولـــو تخـــيرت هـــذا كنـــت أختـــار

فالبون شاسع بين شعراء الرعيل الأول وشعراء عصر الطوائف، فالأمير الأموي أحس بالغربة والحنين إلى موطنه الأول، وشاعرا عصر الطوائف، ابن الحداد وابن خفاجة يخصان الأندلس بالانتماء والولاء، ولذا أردت أن أرصد ظاهرة الانتماء في أحد شعراء عصر الطوائف من خلال شعره، فاخترت أميراً شاعراً بل ملكاً فارساً وتحاورت مع شعره فوجدته يسجل هذه الظاهرة في كثير من جوانبه، مما دفعني إلى المضي قدماً في دراسة هذه الظاهرة في شعر المعتمد بن عباد وتسجيلها.

وظاهرة الانتماء ظاهرة إنسانية فطرية، جبل عليها العربي منذ أقدم العصور، فحمل بين جوانحه الحب والود والوفاء للأهل والإخوان، كما تعلق أيضاً بأرضه ووطنه الذي ينتمي إليه فأحبه ودافع عنه بكل ما يملك، وشاعرنا ينتمي إلى أسرة عريقة وقبيلة شهيرة، ومملكة عظمة، فارتبط بكل ذلك ارتباطاً وثيقاً، واعتز بشجاعته واعتد بشخصيته، ودافع عن وطنه، وعندما سُلب ملكه فقد حريته ولقي الهوان والذل في سجن أغمات.

يأتي هذا البحث ليرصد ظاهرة الانتماء بأنواعه في شعر المعتمد بن عباد، وقد قُسِّم إلى ثلاثة مباحث، فرصد المبحث الأول ظاهرة الانتماء الأسري، حيث الحب الجارف إلى عائلته الكبيرة (أصولاً وفروعاً) وقد تغنى بهذا الأصل واعتز به وفخر من جده المنذر بن ماء السماء مروراً بالقاضي أبي القاسم والأب المعتضد وزوجه اعتماد وجواريه وأولاده، فكان الحب والانتماء إلى هذه الأسرة واضحاً في شعره.

ثم جاء المبحث الثاني ليسجل ظاهرة الانتماء المكاني فى شعر المعتمد حيث الوطن العزيز (اشبيلية) وغيرها من مدن الأندلس التي ضمها

إلى مملكته كقرطبة وشلب وغيرهما، فأحب هذا المكان وانتمى إليه وتمسك به ودافع عنه وحنّ إليه وبكى عليه لما رحل عنه وسلب منه.

وأما المبحث الثالث فقد دار حول انتماءات أخرى لشاعرنا خلاف ما تقدم، فوجدناه يرصد ظاهرة الانتماء العرقي حيث الأصل العربي ثم الأندلس، والانتماء السياسي والاجتماعي والأدبي والديني وغير ذلك.

أما منهجي في التناول فقد تتبعت ظاهرة الانتماء في شعر المعتمد وحاولت أن أرصدها مازجا بين الشكل والمضمون لأنهما لا ينفصلان ،فكان هدفي في هذا البحث أن أرصد ظاهرة الانتماء عند المعتمد من خلال الوسائل الفنية.

وبعد ... فإن كان هناك توفيق وقبول فمن الله سبحانه وتعالى، وإن كان هناك تقصير فمني ومن الشيطان، وحسبي أنني اجتهدت، وما توفيقي إلا بالله.

المبحث الأول
الانتمـــاء الأســري

يُعد الانتماء الأسري اللبنة الأولى، بل حجر الأساس في بناء الانتماء، فكل إنسان من بني البشر ينتمي إلى أسرة، لها أصول وفروع، والانتماء إلى الأصل هو الأول والأكثر أصالة واستمرارية، وهو نقطة الارتكاز والانطلاق(٥)، فالإنسان لا يختار أصله، بل يولد منتمياً – بالفطرة – إلى أسرته وعشيرته وقبيلته وبني جنسه عموماً، ومن ثم يظل الأصل ثابتاً تنبت منه فروع مورقة لتكون أسراً جديدة عن طريق الزواج والمصاهرة والارتحال وغيرها.

والانتماء الأسري يعني الارتفاع بالانتساب إلى الأجداد والأمجاد، فقد جاء فى اللسان: " انتمى فلان إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب " (٦)، وهذا الارتفاع النسبي إلى عظمة الأجداد يرفع من منزلة الأبناء، ويعطيهم الثقة التي تدفعهم إلى الفخر والتغني بهذه الأمجاد.

والمعتمد بن عباد ينتمي إلى أصول عريقة، وأسرة عظيمة، فهو لخمي النسب، وجده النعمان بن ماء السماء، وقد دخلت أسرته إلى الأندلس مع طليعة بلج بن بشر القشيري، ولمع نجم هذه الأسرة على يد القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد(٧)، الذي تمكن من حكم اشبيلية في عصر ملوك الطوائف بعد أن طرد بني حمود منها، ولذا يقول مفتخراً بهذه السيادة والمجد (٨) :

ولابد يوماً أن أسود على الورى ... ولو رُدَّ عمرو للزمان وعامرُ
فما المجدُ إلا في ضلوعيَ كامنٌ ... ولا الجود إلا مني يميني ثائر
فجيشُ العلا ما بين جنبي جائلٌ ... وبحر الندى ما بين كفي زاخر

فالانتماء إلى المجد يسكن في ضلوع هذا الجد ولا يكاد يبرحه، وهذا المجد يشمل النسب والحسب، وكثيراً ما نجد هذا الانتماء في المعتضد والد المعتمد – الذي ولى بعد أبيع سنة ٤٣٣هـ، حيث يقول (٩):

حميتُ ذمار المجد بالبيض والسمر وقصرتُ أعمار العداة على قسْر
ووسّعْت سبل الجود طبعاً وصنعة لأشياء في العلياء ضاق بها صدري
فلا مجد للإنسان ما كان ضده يشاركه في الدهر بالنهي والأمر

ويقول أيضاً [١٠] :

أنام وما قلبي عن المجد نائم وإن فؤادي بالمعالي لهائم

ولما مات المعتضد وخلفه المعتمد على اشبيلية سنة ٤٦١هـ، قال الحصري القيرواني في ذلك [١١]:

مات عباد ولكن بقى الفرعُ الكريم
فكأن الميت حيٌّ غير أن الضاد ميم

فالحصري جعل المعتمد فرعاً من شجرة المعتضد، وقد أشاد شعراء آخرون بانتماء المعتمد إلى أصوله العريقة، وجذوره العميقة، فهذا ابن اللبانة يمدح المعتمد بانتمائه إلى النعمان بن ماء السماء، وهو انتماء زاد في فخرهذه الأسرة العبادية، حيث يقول [١٢] :

من بني المنذرين وهو انتساب زاد في فخره بنو عباد
فتية لم تلد مثلها المعالي والمعالي قليلة الأولاد

وعن هذا الانتماء – أيضاً – يقول ابن اللبانة في المعتمد وأسرته العبادية [١٣]:

كانوا الملوك ملوك الأرض فانصرفوا وما لهم حرمة فيها ولا ناد
مَنْ لي بكم يا بني ماء السماء إذا ماء السماء أبي سقيا الحشا الصادي

ويقول ابن وهبون في المعتمد مشيراً ببطولته في موقعة الزلاقة، وانتمائه إلى " لخم " وانتماء ابن تاشفين إلى " حمير " [١٤] :

أظن خطوبها قالت سلام فلم يعبس لها منك ابتسام

فثـــار إلى الطعـــان حليـــف صـــدق تثـــور بـــه الحفيظـــة والـــذمام
نمـــى في حمـــير ونمتـــك لخـــم وتلـــك وشـــائج فيهـــا التحـــام

ويأتي المعتمد بن عباد ليجسد لنا – في شعره – ظاهرة الانتماء تجسيداً حياً، فنراه تارة يفخر بهذا الانتماء إلى أصله، حيث الجدود والآباء، وتارة أخرى يحتضن فرعه ويحنو على زوجه وجواريه وأولاده، ولعل البعض يقول: إن الأسر الأندلسية التي تنتمي إلى قبيلة واحدة سرعان ما تفرقت في أرض الأندلس، فكونت أسراً جديدة عن طريق الزواج من الإسبانيات وغيره، ولكننا نقول بأن الأمراء كانوا على عكس الغالبية العظمى من هؤلاء الناس، فإذا كان الجانب الأكبر من الشعب نسي أصوله العرقية، ولم يكن يهتم كثيراً بمعرفة الأنساب، فقد كان الأمراء على النقيض، يحاولون أن يرتفعوا بأنسابهم إلى جدودهم الأولين ليبرهنوا على نقاء دمهم العربي [١٥].

وكان من هؤلاء الأمراء المعتمد بن عباد الذي أشاد بأصله الذي ينتمي إليه، فأشار إلى جده المنذر بن ماء السماء، وذلك بعد أن خلعه من ملكه، وترك حكمه، وزُج به إلى السجن في أغمات [١٦] :

أذل بـــني مـــاء الســـماء زمـــانهم وذلّ بـــني مـــاء الســـماء كـــثير

وإذا كان قد أشار إلى أصله بلفظة " الذل " بعد أن تغيرت أحواله وتبدلت أوضاعه وانقلب من النعيم إلى البؤس، ومن القصور إلى السجون، فكم أشاد بأصله الذي ينتمي إليه في كثير من شعره قبل محنته، فقال مفتخراً بهذا الأصل وانتمائه إليه[١٧]:

مـــن عـــزا المجـــد إلينـــا قـــد صـــدق لم يُلَـمْ مـن قـال - مهمـا قـال - حـقْ
مجـــدنا الشـــمس ســـناء وســـنا مـــن يَـــرُمْ ســـناها لم يُطـــق
وقـــديماً كلـــف الملـــك بنـــا ورأى منـــا شموســـاً فعشـــق
قـــد مضـــى منـــا ملـــوك شـــهروا شـــهرة الشـــمس تحلـــق في الأفـــق
نحن أبناء بني مـــاء الســـماء نحونا تطمع الحـــاظ الحَـــدَق

والشاعر في موقف الفخر والانتماء إلى هذا الأصل العريق، ولذا كثر في معجمه الشعري الألفاظ التي تدل على ذلك ومنها: (المجد – الشمس – السنا – الملك – الشهرة – نحن أبناء بني ماء السماء)، فلكل شاعر معجمه الشعري الخاص الذي ينتقي من خلاله ألفاظه وعباراته التي تنقل تجربته وتشف عن وجدانه.

ولا نعدم التصوير في هذه الأبيات، حث صور المجد وهو الحسب والنسب شمساً منيرة ساطعة عن طريق التشبيه، وتخيل الملك والرياسة عاشقاً ومحباً لهذه الأسرة العبادية، وهذه الأسرة المشهورة بالشمس الساطعة في عنان السماء.

بل وزاد الأمر براعة في التصوير إذ جعل من محاولات الانتقاص من هذا الملك الأصيل في أسرته بأنه مهما حاول المغرضون ستر هذا السناء والسنا فإن هذه المحاولات مصيرها الفشل لأن من حاول ستر نور الشمس خاب وخسر.

ويقول في نسبه اللخمي واصفاً إياه بالعزة، لما قصده شعراء طنجة والمغرب ليأخذوا منه، فقال [١٨] :

لولا الحياء وعزة لخمية طي الحشا لحكاهم في المطلب

ويقول مخاطباً نفسه، لما هزم في مالقة، مفتخراً بأبيه المعتضد (أبي عمرو)، واصفاً إياه بالشجاعة والكرم والهيبة [١٩] :

من مثل قومك؟ والملك الهمام أبو عمرو - أبوك - له مجد ومفتخرُ
سميدعْ يهب الآلاف مقتدراً ويستقل عطاياه ويحتقر
له يدٌ كل جبّار يقبلها لولا نداها لقلنا إنها الحجر

وقد بدأت الأبيات باستفهام يفيد النفي، والاستفهام من الأساليب اللغوية التي استخدمها المعتمد في كثير من شعره، وتأتي براعة المعتمد في انتقائه ألفاظه ولغته، فاللغة هي التي تمثل شخصية الشاعر، فهي"موهبته وفكره ومشاعره وأحلامه وخيالاته"[٢٠]، وكلمة "الحجر" التي أتى بها توحي بالقوة وترمز إلى الحجر الأسود الذي يتمنى الجميع أن يقبله.

وقد افتخر المعتمد نفسه بهذا الأصل الذي ينتمي إليه، فقال لما خلع[٢١]:

شـــيم الألـــي أنـــا مـــنهم والأصـــل تتبعـــه الفـــروع

ونترك الأصول لنبحث عن الفروع، وأعني بهذه الفروع أسرة المعتمد الذي كان ينتمي إليها وتنتمي إليه، حيث زوجه الأثيرة اعتماد الرميكية، وجواريه الكثيرة، وأولاده النجباء.

أما زوجه اعتماد فكانت أحب نسائه إليه، وهي الوحيدة التي ذكرها المعتمد في شعره من بين نسائه، وقد تزوجها لظرفها وأدبها على الرغم من أصلها المتواضع، فقد كانت جارية لرميك، وكانت تنسب إليه، ولكن المعتمد وجد فيها الزوجة الأديبة الشاعرة الجميلة فرفعها إلى العلا والمجد، واتخذ لها اسماً مشتقاً من اسمه، وأنجبت له أولاده الأمراء، ونفيت معه إلى أغمات، وماتت قبله هناك، وكانت " أديبة ظريفة، كاتبة شاعرة، ذاكرة لكثير من اللغة، معدودة من علماء اشبيلية " [٢٢].

إن بناء الأسرة الزوجية والانتماء إليها يوجب انتقال الزوجة إلى كنف زوجها، التي تنتسب إليه تلك الأسرة، فيغدو زوجها وحبيبها وحاميها، يلبي حاجاتها، ويحفظ عهدها، ويتذكرها على الدوام، فهي وإن كانت بعيدة عنه فهي تسكن قلبه، ويتمنى لقياها في كل وقت، ويهديها السلام، ويطلب منها دوام الحب وحفظ العهد، وهل أدل على هذا الحب من اختيار حروف اسمها مشتقة من حروف اسمه، ووضع هذه الحروف في مطلع كل بيت من الأبيات التالية[٢٣]:

أغائبـــة الشـــخص عـــن نـــاظري وحاضـــرة في صـــميم الفـــؤاد
عليـــك الســـلام بقـــدر الشـــجون ودمـــع الشـــئون وقـــدر الســـهاد
تملكـــت مـــني صـــعب المـــرام وصـــادفت ودي ســـهل القيـــاد
مـــرادي لقيـــاك في كـــل حـــين فيـــا ليـــت أنـــي أُعطـــي مـــرادي
أقيمـــي علـــى العهـــد مـــا بيننـــا ولا تســـتحيلي لطـــول البعـــاد
دسســـت اسمـــك الحلـــو في طـــي شـــعري وألفـــت فيـــك حـــروف " اعتمـــاد "

والأبيات تكشف عن الحضور القوي لشخصية اعتماد في قلب المعتمد، وفي معجمه الشعري الذي تفنن فيه وجعل كل بيت من هذه الأبيات الستة يبدأ بحرف من حروف اسمها، وهذا يدل على مقدرة الشاعر الفنية، ولذا نرى (عليك السلام – ودي – مرادي – أقيمي – لا تستحيلي – اسمك الحلو – اعتماد) وكل هذا يدل على حب الشاعر لزوجه، وهناك بعض الألفاظ التي وضحت هذا المعنى واستعان بها كالطباق في البيت الأول (غائبة، حاضرة) وحسن التقسيم في البيت الثاني (قدر الشجون، دمع الشئون، قدر السهاد) وهذا يعطي للأبيات قيمة جمالية،وقد بدأت الأبيات بأسلوب النداء،وأداته الهمزة التي تستعمل لنداء القريب فهي قريبة من قلبه حتى لوغابت عن ناظره.

وكثيرا ما غير الحب العاذلة، ولكن المعتمد متمكن في حبه، فهو يعشق، ويطلب من اللائمة أن تكف، فزوجته قد سلبت فؤاده، وسكنت شغاف قلبه، وحبها غيّر لون بشرته فاصفّر وجهه، ونحل جسمه، وهطلت دموعه، وهذه علامات الحب الحقيقي[٢٤]:

بكرت تلوم وفي الفؤاد بلابل ... سفهاً، وهل يثني الحليَم الجاهلُ
يا هذه كفّي، فإني عاشق ... من لا يرد هواي عنها عاذل
حب اعتماد في الجوانح ساكن ... لا القلب ضاق به ولا هو راحل
يا ظبية سلبت فؤاد محمد ... أو لم يروعك الهزبر الباسل؟
فلاشك أني هائم بك مغرم ... فعلى هواك له عليّ دلائل
لون كسته صفرة ومدامع ... هطلت سحائبها وجسم ناحل

فالعشق واضح والحب متمكن لن يغيره عاذلة، والصورة في البيت الرابع جميلة حيث شبهها بالظبية التي سلبت فؤاده ولم تخفه وهو أسد قوي، وقد نوّع الشاعر في أبياته بين الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، كما اعتمد على أسلوب النداء والاستفهام وكلاهما من الأساليب اللغوية والأدوات الفنية التي يعتمد عليها الشاعر.

وانظر كيف يقول فيها، وهو في طريقه إلى إفريقية سنة ٤٧٩هـ، عندما قصد يوسف بن تاشفين يستنجده ضد الأذفونش [٢٥] :

فمـــا حـــلّ خـــلّ مـــن فـــؤاد خليلـــه محـــل اعتمـــاد مـــن فـــؤاد محمـــد
ولكنهـــا الأقـــدار تـــردي بـــلا ظبـــا وتصـــمي بـــلا قتـــل وترمـــي بـــلا يـــد

إن اللجوء إلى الاستعارة بلا قسر أو تعسف فن بديع من فنون الصنعة الجمالية، فالمعتمد بارع في قنص هذه الصورة الجمالية في البيت الأخير عن طريق الاستعارة بمفهومها الشامل حيث ركب مع استعارة الأقدار المشخصة التكرار الجمالي عن طريق النفي السلبي بحرف (لا النافية) وما تلاها من هيمنة النفي على ما بعده٠٠فأثبت للصورة الطرد العكسي جماليا٠٠فالأقدار تميت وتصمي وترمي وليس من داع إلى تحديد من يقع عليه هذه الأفعال وأيضا ليس من داع إلى تحديد وسائل تحقيق هذه الأفعال لأن الأقدار المشخصة أرادت هذا ولذا كان ويكون٠٠

ولما خلع وسجن بأغمات، قالت له: يا سيدي لقد هنّا هنا، فقال [٢٦]:

قالـــــت لقـــــد هنّـــــا هنـــــا مـــــولاي أيـــــن جاهنـــــا؟
قلـــــت لهـــــا: إلهنـــــا صـــــيرنا إلى هنـــــا

وهذا الانتماء الأسري الذي جعل المعتمد يحب زوجه اعتماد كل هذا الحب يظهر بوضوح في شعره، فقد خصها بالذكر في المقطعات السابقة، وامتلأ معجمه الشعري بكل كلمات الحب والعشق، وهنا يشير إليها عندما فجع في ابنيه المأمون والراضي بعد خلعه، وهي تبكي بدمع مدرار، وقد ثكلت في فقد ولديها، فأحياناً تبكي، وأحياناً تحتسبهما عند الله فتتقي وتصبر [٢٧].

معـــي الأخـــوات الهالكـــات عليكمـــا وأمكمـــا الثكلـــى المضـــرمة الصـــدر
تبكي بدمـــع ليس للقطر مثلـــه وتزجرها التقوى فتصفى إلى الزجر

ولو نظرنا إلى هذه الأبيات الثلاثة لوجدنا التركيب الفعلي المسيطر على شاعرنا هو استخدام الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار ليعكس لنا عاطفته المفعمة بالحزن والأسى،وهذا التركيب الفعلي يرتبط بالحدث المرتبطة بالفاعل والزمان والمكان،ويتضمن إمكانية التجدد والتطور في كل مرة،وخاصة في الفعل المضارع [٢٨].

واعتماد ملكة الأندلس، وأحبّ نساء المعتمد إليه، وكان أهل الأندلس يقولون: "يستدل على الملوكية بالطيب في المواطن التي يكون الناس فيها غير معروفين كالحمام والمعارك وموسم الحج " [٢٩]، وكان المعتمد ملكاً وعاشقاً يخاف أن تفصح حبيبته عن نفسها بأريج عطرها [٣٠].

ثلاثة منعتها عن زيارتنا ... خوف الرقيب وخوف الحاسد الحنق
ضوء الجبين ووسواس الحلي وما ... تحوي معاطفها من عنبر عبق
هب الجبين بفضل الكم تستره ... والحلي تنزعه، ما حيلة العرق؟

ولم يقتصر المعتمد في شعره على تردد اسم اعتماد زوجه، وإنما أتى بذكرها مصحوباً بكنيتها (أم الربيع)، مما يدل على الانتماء الأسري العظيم، فهي تظن أنه قد ملّها، ولذا يدعو لها بالمغفرة لهذا الظن، فهي تسكن ضلوعه كما يسكن الظبي في كناسه، وهي تقطن فؤاده، وتطل عليه كالبدر المنير، وهي الروضة التي لا يشبع من ثمارها، ولذا يقول[٣١]:

تظن بنا أم الربيع سآمة ... ألا غفر الرحمن ذنباً تواقعه
أأسأم ظبيا في ضلوعي كناسه ... وبدر تمام في فؤادي مطالعه؟
وروضة حسن أجتنيها وباردا ... من الظلم لم تخف على شرائعه؟
إذا عدمت كفي نوالاً تفيضه ... على معتفيها أو عدوا تقارعه

وكثيراً ما كان يخرج معها في المتنزهات والحدائق الغناء، وقد اصطحبها في يوم غيم واحتجب عن الندماء، فكتب إليه ابن عمار [٣٢]:

تجهم وجه الأفق واعتلت النفس ... لأن لم تلح للعين أنت ولا الشمس
فإن كان هذا منكما عن توافق ... وضمكما أنس فيهنيكما الأنس

فأجابه المعتمد بقوله [٣٣] :

خليليّ قولا: هل عليّ ملامة ... إذا لم أغب إلا لتحضرني الشمس
وأهدي بأكواس المدام كواكبا ... إذا أبصرتها العين هشت لها النفس
سلام سلام أنتما الأنس كله ... وإن غبتما أم الربيع هي الأنس

فهو يكتفي بأم الربيع لكي تؤانس وحدته، ويقول الفتح إن المعتمد لما وصل لورقة استدعى ذا الوزارتين القائد أبا الحسن بن اليسع وشكا له غرامة الذي طواه بين ضلوعه بفتاة هي الشمس نوراً وطلعة، وأنه ودعها وتفطّر كبده، وانصدع بهذا الوداع قائلاً [٣٤]:

ولما التقينا للوداع غديّة ... وقد خفقت في ساحة القصر رايات
بكينا دماً حتى كأن عيوننا ... لجرى الدموع الجمر فيها جراحات

ثم زارته هذه الحبيبة في تلك الليلة في منامه، ونال منها ما نال، وسماها في أبياته، وهي أم عبيدة، وقد تكون هي أم الربيع، أي اعتماد زوجه، فقال[٣٥]:

أباح لطيفي طيفها الخد والنهدا ... فعضّ به تفاحة واجتني وردا
ولو قدرت زارت على حال يقظة ... ولكن حجاب البين ما بيننا مُدَّا
أما وجدتْ عنا الشجون معرجا ... ولا وجدت منا خطوب النوى بُدا
سقى الله صوب القطر أم عبيده ... كما قد سقى قلبي على حره بردا
هي الظبي جيداً والغزالة مقلة ... وروض الربا عرفا وغصن النقا قدا

فما أروع هذه التشبيهات الرائعة لزوجه في البيت الأخير، وإذا كان المعتمد قد ذكرها باسمها تارة، وبكنيتها تارة ثانية، فها هو يذكرها بلقبها تارة ثالثة، فقد كانت تلقب بالسيدة الكبرى [٣٦]، ولذا يناديها قائلاً [٣٧]:

سيدتي، لم تنصفي عاشقاً ... أضحى كما أخبرك المخبر
إذا قلت: هل من ألم طائف؟ ... ما بك؟ أو شوقٍ، فما تصبر؟
ظلمت بالشك هواي الذي ... يعرفه الغيب والحضر
والله ما سُقْمي إلا هوىً ... كل هوى في جنبه يصفر
غير جسمي فاعلمي أنني ... أروم لقياك ولا أقدر
فاستغفري الله من الظلم لي ... فإن من يظلم يستغفر

فكل ما به من أسقام وأوجاع غير جسمه وأتعب بدنه هو حبه لها وتدللها عليه، ولذا فقد ظلمته ويطلب منها أن تستغفر الله من ظلمها إياه،وقد اعتمد الشاعر في أبياته على أسلوب النداء في مطلعها، وأسلوب الاستفهام في البيت الثاني الذي تنوعت أدواته بين (هل وما)،ومع تنوع هذه الأدوات يتنوع المفهوم والدلالة والارتباط بالمفهوم العام للنص، وهو " وسيلة للبحث عن بوابات الفرج" (٣٨) .

وقبل أن أسدل الستار على قصة الحب التي جمعت بين المعتمد وزوجته اعتماد أحب أن أشير إلى هذه الرابطة الروحية، وهذا الانتماء العظيم الذي جمع بينهما، فقد كانت سبباً في مقتل أعز أصدقاء المعتمد ووزيره ابن عمار عندما أساء إليها في شعره، وعرّض بأولادها ونسبهم، فقال(٣٩) :

تخيرتها من بنات الهجان رميكية ما تساوي عقالا
فجاءت بكل قصير العذار لئيم النجارين عماً وخالا
قصار القدود ولكنهم أقاموا عليها قروناً طوالا

والملك لا يقتصر على زوجته أو زوجاته، وإنما يكون له جوارٍ ينتمين إليه ويصبح مسئولاً عنهن، ومن ثم صرح المعتمد بحبه لجواريه، وتعدد أسماؤهن في شعره (جوهرة – وداد – سحر ... وغيرهن).

صّرح المعتمد بحبه لجاريته جوهرة، وكانت شاعرة، وجرى بينهما عتاب، فكتب إليها فأجابته برقعة ولم تعنونها باسمها، فقال (٤٠) :

لم تصفُ لي بعد وإلا فلم لم أر في عنوانها جوهرة ؟!
درت يأني عاشق لاسمها فلم ترد للفيظ أن تذكره
قالت: إذا أبصره ثانياً قّبله! والله لا أبصره!

ويبدو من عشق اسمها، وتلذذ الشاعر به، أنه كان يحبها وتتدلل عليه، فكلما ابتعدت عنه ازداد غضبه وارتجف قلبه وانهمرت دموعه، فيناديها قائلاً (٤١) :

جوهرُ قد عذبني منك تمادي الغضب
فزفرتي في صعد وعبرتي في صبب

يـــا كوكـــب الحســـن الـــذي أزري بزهـــــــر الشـــــهب
مســـــكنك القلـــــب، فـــــلا ترضـــــى لـــــه بالوصـــــب

وكان يُسَرُّ بها، ويصفو عيشه، فإذا غابت نقص سروره وتكدّر عيشه، ويتغنى باسمها ويورى به، قائلاً [٤٢] :

ســـــرورنا دونكـــــم نـــــاقصُ والطيـــــب لا صـــــاف ولا خـــــالص
والســـــعد، إن طالعنـــــا نجمـــــه وغبـــــت، فهـــــو الآفـــــل النـــــاكص
سمـــــوكِ بـــــالجوهر مظلومـــــة مثلـــــك لا يدركـــــه غـــــائص!

وأما جاريته " وداد " فكان يأنس بها هي الأخرى، ويصفها بالقمر، وهي تسكن في سواد فؤاده [٤٣] :

اشـــــرب الكـــــأس في وداد ودادك وتـــــأنس بـــــذكرها في انفـــــرادك
قمـــــرُ غـــــاب عـــــن جفونـــــك مـــــرآه وســـــكناه في ســـــواد فـــــؤادك

وإذا كانت وداد قد غابت عنه، فسِحْرُ قد اختارت فرقته فازداد حزناً وكثرت دموعه، ولذا فهو يطلب لها العفو على جميع الحالات وعدم المحاسبة[٤٤].

عفـــا الله عـــن سِـــحْر علـــى كـــل حالـــة ولا حـــو ســـبتْ عمـــا بهـــا أنـــا واجـــد
أســـحر ! ظلمـــت الـــنفس واخـــترت فـــرقتي فجمعـــت أحزانـــي وهـــن شـــوارد
وكانـــت شـــجوني باقترابـــك نزجـــا فمـــا هـــن، لمـــا أن نايـــت، شـــواهد
فإن تستلذى بـــرد مائك بعدنـــا فبعدك ما ندري متى الماء بـــارد

هذا وقد أكثر الشاعر من أسلوب النداء وتكريره بصورة كبيرة فيمقطعاته الغزلية السابقة، ولذا يصدر مقطعته الغزلية التالية بحرف النداء (يا) ويكرره في أربعة أبيات متتالية، بل ويكرره في البيت الأول ثلاث مرات[٤٥] :

يـــا صـــفوتي مـــن البشـــريـــا كوكبـــا بـــل يـــا قمـــر
يـــا غصـــنا إذا مـــشى يـــا رشـــأ إذا نظـــر

يـــا نفـــس الروضـــة، قـــد هبـــت لهـــا ريـــح ســـحر

ولعل من أجمل الأبيات الغزلية التي استخدم الشاعر فيها أسلوب النداء[٤٦]:

يـــا هـــلالا حســـن، خـــد يـــا رشـــا غـــنج لحـــظ، يـــا قضـــيبا لـــين قـــد

إن النساء منبع من منابع الشعر، والشعراء كما يقول الدكتور أحمدضيف مدينون لهن بأفضل الصفات لديهم، والشاعر الذي يشعر بالحب لا يتكلم عن نفسه فحسب، وإنما يجمع آلام العشاق وأنينهم فيتألم ويئن معهم، وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب للنفس من سماع هذا الأنين[٤٧].

وإذا تركنا الزوجة أو بعض الجواري فإننا نلتقي بأولاد المعتمد، وهم فروع منه، ينتمون إليه، كما ينتمون إلى أمهم فتتكون رابطة أسرية ورابطة روحية تجمعهم برباط قوي، فالأب يحب أولاده ويحنو عليهم، ويدافع عنهم، ويحزن عليهم، فهم امتداد له، ومنتمون إليه.

كان للمعتمد أولاد كثيرون، بنون وبنات، نذكر منهم سراج الدولة أبا عمرو عباد، قتيل ابن عكاشة في قرطبة، وأبا نصر الفتح الملقب بالمأمون الذي قتل في قرطبة أيضاً، وأبا خالد يزيد الملقب بالراضي الذي قتله قرور اللمتونى غدراً، وأبا الحسين عبد الله الملقب بالرشيد، وأبا هاشم المعلي زين الدولة، وشرف الدولة، وأبا بكر عبد الله الملقب بالمعتمد، وأبا سليمان الربيع تاج الدولة، وأخيراً بنته الأديبة الشاعرة بثينة، وقد مات بعضهم قبله كأبي عمرو عباد وأبي خالد يزيد وأبي نصر المأمون فرثاهم بشعر يذوب حسرة وألماً وهو أسير في أغمات، وأمهم تبكي هي الأخرى عليهم وكذلك الأخوات، مما يدل على هذا الترابط الأسري والروحي أو الانتماء فيقول [٤٨]:

يَقولـون صـبْرا، لاَ سـبيلَ إلى الصـبّر ! سَـأبكي وأبكـي مَـا تَطـاول مـن عُمْـري !
هَـوَى الكَوْكبَـان ؛الفتح ثُـمّ شـقِيقُهُ يَزيـدُ فهَـلْ بعْـدَ الكواكـب مـنْ صَـبْر ؟
نَـرَى زُهْرهـا في مـأتم كـلَّ ليلـة يُخَمّشْـنَ لَهَفًـا وَسْـطَهُ صـفحةَ البـدر
يَـنُحْن علـى نَجْمَـيْن أثْكَلْـنَ ذاَ وَذاَ ويـا صـبرُ مَـا لِلقلـب في الصـبر مِـن عُـذْر !
أفَـتْحٌ ! لقَـدْ فَتَّحـتَ لـي بـاب رَحْمَـةٍ كمـا بيَزيـد، اللهُ قـدْ زادَ في أجْـري !

تَوَلَيْتُمـــا والسِـــنّ بعْـــدُ صَـــغِيرةٌ ولم تلبْـــثِ الأيّـــامُ أنْ صَـــفَّرتْ قـــدْري
تَوَلَيْتُمـا حِـينَ انْتهـتْ بِكُمـا العُلـى إلىَ غايـــةٍ ، كُـــلٌّ إلىَ غايـــةٍ يجْـــري
فلـوْ عُـدْتمـا لاختْرْتُمـا العـوْد في الثّـرَى إذَا أنْتُمـــا أبْصَـــرْتُمانِي في الأســـر
يُعيـد عَلـىَ سمْعِـي الحديـدُ نشـيدَه ثقـيلا ، فَتَبْكـي العـينُ بـالجِسّ والنَّقْـر
معِـــي الأخَـــوَات الهالِكـــات عليكُمـــا وأمّكمـــا الثّكلـــى المُضَـــرّمة الصّـــدر
فتبكـي بـدمْع لـيس للقطْـر مِثْلُـه وَتزْجُرُهـا التقْـوى فتُصْـغِي إلى الزّجْـر
أبـا خالـد أوْرَثْتنِـي البـثَّ خالِـداً أبـا النصْـر مُـذْ وُدّعْـتَ وَدَّعـني نصْـري !
وَقبْلُكُمـا مـا أوْدَع القلْـبَ حسْـرَةً تُجـدّدُ طُـول الدّهْـر ثكـلُ أبِـي عمْـرو

والقصيدة فريدة في باب الرثاء الذاتي والانتماء الأسري والحب الأبوي، ومن ثم غلب على معجمه الشعري ألفاظ الحزن والبكاء والجزع والنواح والمأتم والثكل .. الخ، فقد نالت منه الآلام حتى لم يبق في نفسه بقية من الصبر، واستولى عليه الجزع لما صار إليه فرثى دولته وبكى واقعه " ولم يحدث قبله أن فاضت ينابيع الشعر في أعماق أمير فصور لنا مأساته وأحزانه وآلامه وتأسيه، وصاغ التجارب موحية من واقعة ومآسيه، كما صنع المعتمد في نبرة صادقة ومعاناة حقيقية، وإيقاع حزين، ولكنه في كل الحالات ينبض مثلاً، وينضج بكبرياء عجيب " (٤٩).

وهو يجانس عندما ينادي أولاده (أفتح .. فتحت- أبا خالد .. خالدا- أبا النصر.. نصري) بدون تكلف أو غموض،بل في أسلوب سهل وعبارات موحية.

ويعلق الدكتور فاضل والي على هذه القصيدة بقوله:"ومن المثير في بكاء المعتمد أولاده أنه لا يبكيهم وحده،ولكنه يشرك معه عناصر الطبيعة، فمرة يشرك طيور القمري، ومرة يشرك نجوم السماء وكواكبها، ويتهم نفسه بالغدر والجحود إن لم ينهمر الدمع من عينيه مدرارا" (٥٠) .

يتميز شعر المعتمد وخاصة في هذه القصيدة التي تعبر عن الانتماء الأسري والحب الأبوي لولديه بالسهولة والوضوح، فلا تكلف ولا غموض،

جميل الأسلوب،صادق العاطفة،يعبر عن تجربة حقيقية مر بها والعاطفة " لب الفنون وعمادها،وهي المعزف الذي تصدح به أوتار الأدب،وعليه يعزف الأديب،وهي الشرفة التي يطل منها على ما تنطوي عليه النفوس من ألم وأمل يصل منه إلى القلوب، وهي ترجمان لما يكمن من مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية" (٥١).

إن صدق العاطفة يعني"صدق الشاعر في شعره عن إحساس صادق ألم به،وعصفت برأسه حمياه ٠٠فصدق الشعور من أقوى أسباب الإجادة الشعرية لدى الشاعر،والصدق العاطفي وصدق الاعتقاد عند الشاعر باعث قوي على انفعال الآخرين بشعره وتأثرهم بنتاجه"(٥٢). فهو يجذب القارئ ويشده إليه ويجعله مستمتعا بكل بيت يقرأه.

جاءت عاطفة المعتمد في هذه الأبيات مكلومة حزينة لفقد أولاده "وإذا كان الوفاء هو الباعث على رثاء من يمدحهم الشاعر في حياته، فإن رثاء الأهل والولد والأقرباء لا يصح أن يكون الوفاء باعثا له،وإنما هو الحزن الممض والألم المبرح"(٥٣).

واللغة التي استعملها الشاعر هي التي تعبر عما يجيش في صدره من عواطف وانفعالات،وما يجول في خلده من أفكار، وهي انعكاس لكل ما يموج داخل نفسه، ولذلك نجد الشاعر البارع يختار ألفاظه وينتقيها بعيدا عن التعقيد والغموض ٠معنى هذا أن عليه أن يختار فيتحرى الجميل المناسب والأنيق الحسن" (٥٤).

يرتبط المعتمد بأولاده وبناته وزوجه ارتباطاً قوياً، وكان لمقتل ولديه المأمون والراضي أبلغ الأثر في بؤسه وحزنه، فقد بكاهما كثيراً، ورثاهما رثاءً حاراً في أكثر من قصيدة، فقد رأى قمرية بائحة بشجنها، نائحة بفننها على سكنها، وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغماً ويغردان ترحاً وترنماً، فقال وكأن هذه القمرية هي المعادل الموضوعي له (٥٥):

بكتْ أن رأت إلفين ضمهما وكر ... مساءً وقد أخنى على إلفها الدهر
بكت ولم ترق دمعاً وأسبلت عبرة ... يقصر عنها القطر مهما هما القطر
وناحت فباحت واستراحت بسرها ... وما نطقت حرفاً يبوح به سر

فمـــالي لا أبكـــي أم القلـــب صـــخرة ... وكـــم صـــخرة في الأرض يجـــري بهـــا نهـــر!
بكـــت واحـــداً لم يشـــجها غـــير فقـــده ... و أبكـــــي لآلاف عديـــــدهم كثـــــر
بـــني صـــغير أو خليـــل موافـــق ... يمـــزق ذا قفـــر ويغـــرق ذا بحـــر
ونجمـــان زيـــن للزمـــان احتواهمـــا ... بقرطبـــة النكـــداءُ أو رنـــدة القـــبرُ
غـــدرت إذن إن ضـــن جفـــني بقطـــرة ... وإن لؤمـــت نفســـي فصـــاحبها الضـــبر
فقـــل للنجـــوم الزهـــر تبكيهـــا معـــي ... لمثلـــهما فلتحـــزن الأنجـــم الزهـــر

فهذا الشعر الذي يمزق القلوب ويذيبها حسرة وألماً لا ينبعث إلا عن قلب مجروح ونفس حزينة على أعز ما في الوجود وهم الأبناء، وأمام هذا البكاء والحزن لا يملك إلا أن يكونا شفيعين له عند ربه يوم القيامة، وأخيراً يهديهما السلام في قبريهما هو وأمهما الثكلى حيث يقول [٥٦] :

بكيـت فتحـاً فـإذ مـا رمـت سـلوته ... ثـوى يزيـد فـزاد القلـب نيرانـا
يـا فلـذتي كبـدي يـأبى تقطّعهـا ... مـن وجـدها بكمـا مـا عشـت سـلوانا
لقـد هـوى بكمـا نجمـان مـا رميـا ... إلا مـن العلـو بالألحـاظ كيوانـا
مخفـفٌ عـن فـؤادي أنّ ثكلكمـا ... مثقّـلٌ لـي يـوم الحشـر ميزانـا
يـا فـتحُ قـد فتحـت تلـك الشـهادة لـي ... بـاب الطماعـة في لقيـاك جـذلانا
ويـا زيـدٌ لقـد زاد الرجـا بكمـا ... أن يشـفع الله بالإحسـان إحسـانا
لمـا شـفعت أخـاك الفـتح تتبعـه ... لقاكمـا الله غفرانـا ورضـوانا
مـني السـلام ومـن أم مفجعـة ... عليكمـا أبـداً، مثنـى ووحـدانا
أبكـي وتبكـي ونبكـي غيرنـا أسـفا ... لـدى التـذكر نسـوانا وولـدانا

والمعجم الشعري لدى الشاعر يرتبط عادة بموضوع النص، ومعجم العصر، وطبيعة الثقافة المؤثرة في الشاعر، وقد دار معجمه الشعري في كثير من الأحيان حول استرجاع الماضي والوقوف أمام الحاضر، فجاءت لغته معبرة عن مأساته،عاكسة نفسيته الحزينة وتجربته المريرة التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي،ولذا كثرت ألفاظ البكاء والحزن، ولفظة(هوى) التي توحي

بالسرعة والأفول وقد عبر عن الحب العميق والانتماء الشديد عندما أكثر من أساليب النداء مع المجانسة ،وما أجمل قوله (يا فلذتي كبدي) مستخدما أداة النداء(يا) التي تفيد نداء القريب والبعيد ولكن الشاعر وظفها هنا لنداء البعيد، فولداه رحلا عن دنيانا،وقد أتاحت له هذه الأداة أن يمد صوته ويفرغ انفعاله، وتوالي هذه النداءات في هذه القصيدة"للتعبير عن صدق المعاناة،وتدل على شدة الاحتياج والشعور بالفقد" (٥٧) .

وإذا كان المعتمد قد بكى ولديه الفتح (المأمون) ويزيد (الراضي) معاً في القصائد السابقة، فإنه قد خصَّ كلاً منهما بقصائد أخرى، فانظر إلى هذا الحب الجارف والانتماء القوي لابنه أبي الفتح المأمون الذي ولاه على قرطبة (٥٨):

وردت أبا الفتح يا سيدي ورود الكرى بعد طول السهاد
ولما احتللت بنا لم تُحل من القلب والعين غير السواد
ودونك منا طيوراً غدت تطير إليك بريش الوداد

وهذا يزيد الراضي أبو خالد ولاّه أبوه الجزيرة الخضراء أولاً ثم نقله إلى رندة وكان يميل إلى القضايا الفكرية، ويؤثر دراسة النحو والفقه ومجالسة الشعراء والفلاسفة والرياضيين والفلكيين على خوض معامع الحروب (٥٩)، ومع ذلك أمره والده بالخروج إلى العدو لمحاربته فأظهر التمارض، ورأى أن المطالعة أربح من المقارعة، فحجب المعتمد عنه رضاه، ولكنه عفا عنه، وعطف عليه، وهذه طبيعة الأب الحانية، وبعث إليه بشعر يهزل(٦٠) :

الملك في طي الدفاتر فتخل عن قود العساكر

إلى آخر القصيدة، فكتب إليه الراضي معتذراً، وهذا يدل على الاستجابة الفورية من الابن تجاه أبيه، والتماسك الأسري، وقد أثبت ابن خاقان رد الراضي على والده في قلائده، ومطلع القصيدة(٦١):

مولاي قد أصبحت كافر بجميع ما تحوي الدفاتر

وحب المعتمد لأولاده لا يقتصر على المأمون والراضي فحسب، وإنما كان يحبهم جميعاً، وهذا أصغرهم " أبو هاشم " يتذكره وهو يقاتل في معركة الزلاقة ويضرب يميناً وشمالاً، وكان يحبه حباً شديداً، فقال [٦٢] :

أبـــا هاشـــم هشـــمتني الشـــفار فللـــه صـــبري لـــذاك الأوار
ذكـــرت شخصـــيك مـــا بينهـــا فلـــم يـــدعني حبـــه للفـــرار

فالنداء محذوف أداته لقرب الابن منه،وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية، وقد استخدمه لحضور المنادى،وهو أصغر أبنائه ليحفزه على القتال ويستمد من روحه الصمود في وجه الأعداء مستغلا بذلك رابطة البنوة والانتماء في التحفيز على النصر. والألفاظ قد أجاد المعتمد في اختيارها وانتقائها، فلفظة (الأوار) توحي بلهيب المعركة،معركة الزلاقة، التي خاضها وتذكر ابنه فيها، وكلمة (شخيص) توحي بصغر جسم ابنه (أبي هاشم) وضآلته.

وبعد الرحيل إلى أغمات والسجن بها والرسف في القيود يدخل هذا الابن الصغير أبو هاشم ليرى أباه على هذه الحالة، فيناجي المعتمد قيده ويعتب عليه لأنه قاس لا يرحم هذا الطفل الصغير ولا أخياته، وهي صورة بالغة الحزن، شخص فيها القيد وناجاه قائلاً [٦٣]:

قيـــدي أمـــا تعلمـــني مســـلماً أبيـــت أن تشـــفق أو ترحمـــا
دمـــي شـــراب لـــك واللحـــم قـــد أكلتـــه لا تهشـــم الأعظمـــا
ارحـــم طفـــيلا طائشـــا لبـــه لم يخـــش أن يأتيـــك مســـترحما
وارحـــم أخيـــات لـــه مثلـــه جـــرعتهن الســـمّ والعلقمـــا
مـــنهن مـــن يفهـــم شـــيئا فقـــد خفـــن عليـــه للبكـــاء العمـــى
والغـــيرُ لا يفهـــم شـــيئا فمـــا يفـــتح إلا للرضـــاعِ فمـــا

ويعلق الدكتور أحمد ضيف على هذه الأبيات قائلاً: " أليست هذه نفس شاعر عرف كيف يعبر عما يجول في نفسه من المعاني، ويصف آلامه وصفاً

قريباً من الحقيقة؟ واستعان على ذلك بما رآه من البؤس وآثاره الظاهرة، فذكر حالته وما هي عليه، وذكر أولاده، وما يعانونه، ولم يلتجئ إلى الخيال ولا إلى الأحلام، ولكن شعره جميل لأن الحقائق إذا ألبسها الشعراء ديباجة الشعر أصبحت شعراً جميلاً، وليس الشعر الجميل إلا حقائق شعرية [٦٤].

كما علق الدكتور عبده بدوي على قيد المعتمد الذي يرمز له بيوسف بن تاشفين ومن ثم فليس القيد قيدا ماديا،ولذا يتوجه إليه بالنداء، ويستخدم لذلك عنصر التشخيص ليؤثر فينا ونشاركه المأساة [٦٥] .

استخدم المعتمد في هذه الأبيات فعل الأمر(ارحم) مرتين عندما خاطب قيده الذي لا يحنو ولا يرق ولا يرحم ولا يستجيب،وقد أجاد المعتمد في استخدام ألفاظه وصيغه التعبيرية عن طريق التصغير في (طفيلا) و(أخياته) ليستجدي منه الرحمة والشفقة ،وعاطفته صادقة وتجربته حقيقية نقلها لنا في براعة واقتدار ،وكأننا أمام الحدث ذاته،فالكلمات موحية والمعاني معبرة، وقد أضفى عليها من نفسه وروحه مما جعلها تعبر عن مشاعره وتعانق عواطفه "فالعاطفة هي الانفعال النفسي المصاحب للنص"[٦٦]، فهي"تحرك نفسي بينما الفكرة شيء عقلي، فالذهاب إلى الحديقة مثلا فكرة،ولكن حب الذهاب إليها والتردد عليها في أوقات معينة عاطفة"[٦٧] .

وأما بناته فلم نعلم منهن إلا بثينة، ولكنه كان يذكرنهن على الدوام، ويحنو عليهن، وينتمي إليهن، وينتمين إليه، وقد أشار في كثير من أشعاره إليهن، كما هو واضح في القطعة السابقة، وغيرها، وهاهو يتحسر على أيامه الماضية~، وحالته الحاضرة، ويقارن بينهما، فالحال قد تبدلت، والعز قد انقلب، فلا يجد إلا لغة الذكريات تؤنسه ويتسلى بها في محنته، وقد عبر عن هذا البؤس والحزن العميق لما جاءه أول عيد بأغمات، ورأى أولاده وخاصة البنات عليهن أطمار بالية، وأقدامهن حافية، وآثار نعيمهن عافية، يبدين التذلل والخضوع [٦٨]:

فيما مضى كنت بالأعياد مسروراً ... فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعة ... يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
برزن نحوك للتسليم خاشعة ... أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطـــأن في الطـــين والأقـــدام حافيـــة كأنهـــا لم تطـــأ مســـكا وكـــافورا

وهو في البيت الأخير يشير إلى ما وقع منه، وهو في عز ملكه، لما اشتهت زوجه اعتماد ،أم أبنائه وبناته أن تمشي في الطين، فملأ صحن القصر مسكاً وكافوراً، ورشه بالورد، ومشت فيه اعتماد وجواريها، وهذه الاستجابة من جانب المعتمد الملك لتدل على الحب العميق لأهل بيته وأم أولاده، وهذا واجب على ربِّ الأسرة أن يلبي احتياجاتها ولو جاءت بمثل هذه الطريقة التي ظل المعتمد يحفظها طوال حياته، وذكرها بها عندما تبرمت بالحياة وأن المعتمد لا يلبي حاجاتها فقال لها: ولا يوم الطين ؟ فسكتت.ولا يخفى ما في الأبيات من مفارقة مؤلمة حيث تحول العيد من سعادة وبهجة إلى حزن وألم.

ويقول في بناته بعد أن دعا له الوزير أبو العلاء بن زهر بالبقاء والحياة وهو في أغمات مأسور [٦٩] :

أأرغـــب أن أعـــيش أرى بنـــاتي عَـــوارىَ قـــد أضـــر بهـــا الحفـــاء ؟
خـــوادم بنـــت مَـــنْ قـــد كـــان أعلـــى مراتبـــه - إذا أبُـــدوا - النـــداءُ

فقد بلغ به الحال أن تغزل بناته لبنت شرطة أبيها حتى تسد بأجرتها رمقها وتدفع الجوع عنها. والاستفهام في البيت الأول للنفي والإنكار.

وأما بثينة بنت المعتمد فقد سَبيت يوم خروج المعتمد من اشبيلية أسيراً، وقد ابتاعها بعد ذلك رجل أراد الزواج منها فامتنعت، وعرفته بنفسها، وطلبت منه أن يتزوجها بعد الحصول على موافقة أبيها، وكانت مما كتبته إلى أبيها من نظمها [٧٠]:

اســـمع كلامـــي واســـتمع لمقـــالتي فهـــي الســـلوك بـــدت مـــن الأجيـــاد
لا تنكـــروا أنـــي ســـبيت وأنـــني بنـــت لملـــك مـــن بـــني عبّـــاد
ملـــك عظـــيم قـــد تـــولى عصـــره وكـــذا الزمـــان يـــؤول للإفســـاد
لمـــا أراد الله فرقـــة شملنـــا وأذاقنـــا طعـــم الأســـى مـــن زاد
قـــام النفـــاق علـــى أبـــي في ملكـــة فـــدنا الفـــراق ولم يكـــن بمـــراد

فخرجت هاربة فحازني امرؤ لم يأت في أفعاله بسداد
إذ باعني بيع العبيد فضمني من صانني إلا من الأنكاد
وأرادني لزواج نجل طاهر حسن الخلائق من بني الأنجاد
ومضي إليك يسوم رأيك في الرضا ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتي تعرفني به إن كان ممن يرتجي لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها تدعو لنا باليمن والإسعاد

فلما وصل شعرها إلى أبيها ردّ عليها، والحنان يملأ قلبه مناديا إياها،مسديا لها النصح والإرشاد (٧١) :

بنيتي كوني به بّرة فقد قضى الدهر باسعافه

وهكذا وجدنا المعتمد بن عباد يرصد في شعره ظاهرة الانتماء الأسري، فهو يحب أسرته ممثلة في زوجه اعتماد باسمها وكنيتها ولقبها، وأبنائه وخاصةً المأمون والراضي وأبا هاشم، وبناته وخاصة بثينة، وهذا الانتماء الأسري يعكس الحب العميق لهذه الأسرة عن طريق الإشادة والمديح والفخر بمن كان حياً والرثاء والتأبين بمن قتل قبله.

المبحث الثاني

الانتمـــاء المكانـــي

زاحم الانتماء المكاني الانتماء الأسري في الشعر الأندلسي عموماً، وفي شعر المعتمد بن عباد خصوصاً، ولعل أبرز ما يدل على ذلك الانتساب إلى المكان الذي يعني " وطن المرء الذي يولد فيه، وينتسب إليه، ويدرج بين ربوعه، ويعيش في جوه، وفوق أرضه، وتحت سمائه، وبين أهله، وتتفتح عينه على مرائيه، ويتنبه خاطره على أحداثه، وينطلق لسانه فيتكلم بلغته " (٧٢)، ويتضح ذلك الانتماء في قولهم ابن هانئ الأندلسي أو ابن دراج القسطلي، أو ابن حمد يس الصقلي، " فهذا يلقب بالمالقي، وهذا بالبلنسي، وهذا بالغرناطي أو بالشاطبي أو بالجياني أو نحو ذلك " (٧٣) .

وكان للانتماء المكاني في شعر المعتمد أثر كبير في حياته، فقد ولد في كورة باجة من أعمال إشبيلية [٧٤]، وشبَّ وترعرع على هذه الأرض التي ينتمي إليها، فأحبها ودافع عنها بكل ما يملك حتى انتهى به المطاف في مكان آخر هو أغمات بالمغرب الأقصى، وشتان بين المكانين، فالأول محبب وأليف لشاعرنا، والآخر ممقوت ومنفر، وبين مكان الولادة ومكان الوفاة، رحلة طويلة في عدة أماكن تركت انطباعات وتأثيرات في شعره.

ترجع أوليّة بني عباد – كما ذكر ابن عمار – إلى قرية " يومين " التي تقع على ضفاف الوادي الكبير في إشبيلية، ولذا هجاه وسخر من أوليته، فبنوعباد في نظر ابن عمار فلاحون من أصل مغمور كانوا يرعون الجمال [٧٥] :

ألا حيّ بالغرب حيا حلالا أناخوا جمالا وحازوا جمالا
وعرج بيومين أم القرى عسى أن تراها هناك خيالا

ودائماً يستحضر الشاعر المكان المحبب لدلالة الانتماء إليه " فعلاقة الشاعر بالمكان ذات أبعاد متعددة تستحضر الواقعي والخيالي والوهمي، ويكفي أن الشاعر يعيش في المكان على مستوى الوجود الحقيقي، ويسبح في عالمه الشعري، فيستحضر المكان من المعرفة الثقافية، ويقيم لنفسه وجوداً فيه أو يعدل من صورة المكان الحقيقي، كما يخترع المكان في الفن ويحتله بالوجود " [٧٦] .

ولعل أول مكان احتفى به المعتمد في شعره، مدينة شلب، التي حكمها أميراً في أيام والده المعتضد، وأحبها، ولذلك لما أصبح ملكاً أوفد وزيره ابن عمار في مهمة تفتيشية، حمله خلالها رسالة سلام، وتحية إلى كل الأماكن التي أحبها فيها، كقصر الشراجيب وسد النهر، وتنضح هذه الأبيات بكل مشاعر الشباب وحماسته[٧٧]:

ألا حيّ أوطاني بشلب أبا بكر وسلهن هل عهد الوصال كما أدري؟
وسلم على قصر الشراجيب عن فتي له أبدا شوق إلى ذلك القصر
منازل آساد وبيض نواعم فناهيك من غيل وناهيك من خدر

وكـم ليلـة قـد بـتُ أنعـم جنحهـا بمخضـبة الأرداف مجدبـة الخصـر
وبـيض وسمـر فـاعلات بمهجـتي فعـل الصـفاح البـيض والأسـل السـمر
وليـل بسـدّ النهـر لهـواً قطعتـه بـذات سـوار مثـل منعطـف البـدر
نضـت بردهـا عـن غصـن بـانٍ مـنعم نضـيرٍ كمـا انشـق الكمـام عـن الزهـر

فالمعتمد حكم مدينة شلب فترة من الزمن، وهو أمير، أي في مقتبل حياته، حيث الشباب والحيوية والمرح، ولذا كانت من الأماكن المحببة إليه، ثم عاد إلى إشبيلية ولكنه لا ينساها، ولا ينسى الأماكن الجميلة بها كقصر الشراجيب وسد النهر، فهذه الأماكن يرتبط بها الشاعر، وينتمي إليها، فهي مهابط للجمال والمجد، ومنازل للأبطال الشجعان، والفتيات الجميلات، فيقال إن قصر الشراجيب " كان يضارع في الفتنة أروع قصور بغداد وأجملها، وظل قائماً على امتداد القرنين الثاني عشر والثالث عشر " [٧٨]. وسد النهر " يذكرنا بجسر قرطبة الذي كان قائماً على الوادي الكبير " [٧٩]، وقد وصفه شعراء آخرون كابن عمار الذي قال في شنتبوس مدينته في قصيدة للمعتمد[٨٠]:

كسـاها الحيـا بـرد الشـباب فإنهـا بـلاد بهـا عـقّ الشـباب تمـائمي
وليلـةٍ لنـا بالسـدِّ بـين معـاطف مـن النهـر ينسـاب انسـياب الأراقـم

وإذا عدنا إلى أبيات المعتمد نجد الانتماء المكاني مُجسَّداً فيها، وهل أدل على ذلك من إضافة كلمة (أوطان) إلى نفسه، وذكر كلمة (منازل) وإضافتها إلى كلمة آساد وهذا يعطي إشارة إلى أهميتها، وأن الشاعر من علية القوم، فهي موطن عزه، وارتباط هذه المنازل ببيض النواعم يعطي إشارة أخرى إلى مدى الرفاهية واللهو [٨١]. وقد ربط الزمان بالمكان في قوله: " وليل بسد النهر " وصور " شلب " نفسها بالإنسان الذي يستقبل التحية والسلام، فهو يشتاق إليها، ومن ثم يحمل وزيره التحية إليها. وهنا نقول: إن للمكان دلالات نفسية تؤدي إلى بروز عاطفة عشق المعتمد لشلب وما فيها، فهذا المكان يحمل ذكريات حب الشاعر وغرامياته " وسهلن هل عهد الوصال

كما أدري ؟ " فشلب تسأل علي لسان رسول الشاعر عن طريق التشخيص من قبيل الاستعارة التي تنم عن قدرة الشاعر، كما أن الشاعر من خلال هذه الأبيات جعل للزمن ودلالته حضوراً قوياً ممثلاً في (الليالي – الزمان – الأيام – الدهر) . ومزج بين لغة الذكريات ولغة الفخر لأن الشاعر من علية القوم (منازل آساد).

خلّف المعتضد لابنه المعتمد مملكة كبيرة مترامية الأطراف في الجنوب المغربي من بلاد الأندلس، وشرع المعتمد في توسيع مملكته، فغزا (قرطبة) وضمها إلى ملكه سنة ٤٦٢هـ وكانت " منتهى أمله، وكان روم أمرها أشهى عمله، ومازال يخطبها بمداخلة أهليها ومواصلة واليها .. وحين اتفق له تملكها " [٨٢]، ولّى ابنه الظافر أبا عمرو زمامها وقال [٨٣] :

خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت ... من جاء يخطبها بالبيض والأسل
وكم غدت عاطلاً حتى عرضتُ لها ... فأصبحت في سُريَّ الحلي والحلل
عِرسُ الملوك لنا في قصرها عُرسٌ ... كل الملوك به في مأتم الوجل

فالمعتمد جعل قرطبة فتاة حسناء خطبها وضمها إلى ملكه، فانتمى إليها، وانتمت إليه، على حين رفضت الآخرين لأنها لم تجد فيهم شجاعة المعتمد ولا فروسيته، فكانت في أبهى زينتها، ففرح بها، وجعل ابنه الظافر والياً عليها، لكن سرعان ما ثار عليه حريز بن عكاشة ليلاً وقتله، وكان عكاشة هذا من أنصار ابن ذي النون، وكان أميراً لقلعة رباح [٨٤]، فحزن المعتمد على ولده، وانشغل عن رثائه بطلب ثأره، حتى تحقق له ما أراد، فقتل ابن عكاشة سنة ٤٨٠هـ، وولّى المعتمد ابنه المأمون على قرطبة مرة أخرى سنة ٤٧١هـ، ولكنه قُتل هو الآخر على يد لمتونة سنة ٤٨٤هـ، وفي ذلك يقول المعتمد بعد موت المأمون في قرطبة وموت أخيه الراضي في رندة [٨٥] :

ونجمان زين للزمان احتواهما ... بقرطبة النكداء أو رندة القبرُ

وهنا نلاحظ أن الشاعر في وقت الفرح والسرور يصف قرطبة بالفتاة الحسناء، وفي وقت الحزن والألم يصفها بالنكداء " فالمكان وعاء يمكن أن يفرغ فيه الشاعر إحساساته النفسية، فالمكان والشاعر مرتبطان ارتباطاً وثيقا، فإذا فرح الشاعر اخضّر المكان، وإذا ما حزن أجدب، والعكس صحيح، فإذا اخضر المكان فرح الشاعر، وإذا ما أجدب المكان حزن الشاعر، فهما كالعاشقين تماماً يكمل أحدهما الآخر، ومن هنا كانت عناية الشاعر بالمكان وإحساسه بأهميته " [٨٦] .

أما إشبيلية وضواحيها فقد شبّ فيها شاعرنا وترعرع بين السيف والقلم، وكان فيها أماكن كثيرة للتنزه جذبته، ومنها (مرج الفضة) الذي يقول فيه صاحب النفح إنه يقع بعيداً عن المدينة، على شاطئ الوادي الكبير، ويجذب إليه كبار الشخصيات المعروفة، وتعود المعتمد أن يذهب إليه كثيرا متخفيا رفقة ابن عمار الشاعر،وفيه التقى للمرة الأولى بالفتاة التي أصبحت ملكة فيما بعد [٨٧]. ولذا يقول عنه، واصفاً إياه برمز المجد العائلي الأثيل [٨٨] :

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا يغني حمام أو ترنّ طيور

وثمة وادٍ آخر اسمه " وادي الطلح " بشرق إشبيلية، ملتف الأشجار، مترنم الأطيار، نال إعجاب المعتمد وزوجته الرميكية، وقد وصفه نور الدين بن سعيد في بائيته قائلاً [٨٩]:

سائل بوادي الطلح ريح الصَّبا هل سُخرت لي في زمان الصَّبا

كما أشار إليه أحمد شوقي في مطلع أندلسيته [٩٠] :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا نشجي لواديك أم ناسى لوادينا

وتمثل إشبيلية وما تحويه من أماكن مختلفة بالنسبة إلى المعتمد كل حياته وكيانه ومجده، ولذا تتفجر شاعريته بالانتماء المكاني لها عندما

يهاجمه المرابطون، فنراه يدافع عن ملكه ووطنه وأرضه دفاع المستميت، لأنه كثيراً ما اعتد بهذا المكان، وكثيراً ما تغنى به، ومن ثم يرى المعتمد في أرضه قصة الحب والوفاء، ومعنى الارتباط والانتماء، فيتمسك بوطنه، ويرفض الاستسلام [٩١] :

قالوا: الخضوع سياسة ... فليبد منك لهم خضوعُ
وألذ من طعم الخضو ... ع على فمي السمُّ النقيع
إن يسلب القوم العدا ... ملكي وتسلمني الجموع
فالقلب بين ضلوعه ... لم تُسلم القلب الضلوع
لم أستلب شرف الطباع ... أيسلب الشرف الرفيع
قد رمت يوم نزالهم ... ألا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص ... على الحشا شيء دفوع
وبذلت نفسي كي تسـ ... ـل إذا يسيل بها النجيع

إن هذه الأبيات تمثل نفثة حارة أطلقها المعتمد وهو يدافع عن ملكه بكل ما يملك، فهي " تصور المثل الأعلى في حياة العرب، أميراً على عرش، أو راعياً وراء قطيع: السم ألذ مذاقاً من الخضوع، والشرف الرفيع لا يسلب، لم يتخلف عن القتال، ولا ضَّن بنفسه عن الاستشهاد " [٩٢] .

ما أجمل انتماء المعتمد إلى وطنه، وما أصدق عاطفته وأشجاها مع محبوبته اشبيلية، وما أشد أحزانه وهمومه عندما يسلب الوطن من يده، وتؤخذ أرضه عنوة وقهراً، وهو مغلوب على أمره، عاجز عن رد المرابطين " وهكذا يكون الإحساس بالمكان – الوطن – إحساساً له أصالته وعمقه في الوجدان، لأن المكان يصبح هنا هدية تاريخية ووطنية ونفسية، خصوصاً أنه يمثل حلقة الوصل المشيمية برحم الأرض، الوطن، الأم، ويرتبط بوداعة وهناءة الطفولة، وذكريات، وغراميات الصبا، ويزداد الإحساس بالمكان عمقاً إذا ما تعرض المكان للخطر أو الضياع " [٩٣] .

والقصيدة تعبر – حقاً – عن روح الفروسية التي كان يتمتع بها المعتمد بن عباد، وامتلأ معجمه الشعري بالعزة والرفعة والشرف والجرأة

والبسالة، ففضل السم على الخضوع، وجاءت ألفاظه سهلة وعباراته واضحة، وعندما يرفض الخضوع ويأتي التسليم تأتي ألفاظ تناسب الموقف الذي هو فيه (الخضوع – النقيع – الدروع).

أما العاطفة فقد جاءت صادقة تتسم بالقوة والثبات وإن جاءت متباينة، تارة نلمح الحسرة والحزن، وتارة أخري نلمح الفخر والاعتزاز والانتماء إلي الأصول العريقة، وتنوع الأسلوب بين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية .

وبعد جهاد كبير ينتهي المطاف بالمعتمد إلى سجن أغمات، فتتبدل به الأحوال، وتتحول نغمة الفرح إلى نغمة الحزن، ومن هذه اللحظة يغدو المكان جزءاً لا يتجزأ من أحاسيس الشاعر، فهوماثل أمامه في كل ساعة ولحظة،لا يكاد يفارق فكره وخياله ولاشك أن الأحزان تتضاعف، والهموم تتكالب حينما يسلب الوطن من يد حاكمه، وتؤخذ الأرض من سيدها ومالكها عنوة وقهراً وهو يقف عاجزاً عن استرداد ملكه، ومن يسمع المعتمد وهو في سجنه يسمع نغمة حادة موجعة، تفيض ألماً وتسكب حسرة ويسمع صوتاً حزيناً مجروحاً يرفض الاغتراب المكاني،ويرنو للعودة إلى أحضان وطنه [٩٤] .

إن انتماء الشاعر إلى وطنه وملكه جعله يرفض ما آل إليه في سجن أغمات، لأن هذا المكان بالنسبة إلى الشاعر مكان معادٍ ومرفوض، ولذا أمست غربة الشاعر غربتين، مكانية حث سجن أغمات، ونفسية حيث يرفض ما آل إليه، يقول في لغة معبرة عن مأساته [٩٥] :

غنتك أغماتية الألحان ... ثقلت على الأرواح والأبدان
قد كان كالثعبان رمحك في الوغى ... ففدا عليك القيد كالثعبان
متمدداً بحذاك كل تمدد ... متعطفاً لا رحمة للعاني
قلبي إلى الرحمن يشكو بثه ... ما خاب من يشكو إلى الرحمن
يا سائلا عن شأنه ومكانه ... ما كان أغنى شأنه عن شاني
هاتيك قينته وذلك قصره ... من بعد أي مقاصر وقيان
من بعد كل عزيزة رومية ... تحكي الحمائم في ذري الأغصان

لقد افتتح الشاعر هذه الأبيات بأغنية، ولكنها أغنية حزينة، لأنها ترتبط بأغمات المكان الذي يقع فيه سجنه، ولذا جاءت الأغنية ثقيلة على روحه وبدنه، ورثاء الشاعر لنفسه في هذه الأبيات ناتج عن انفصاله عن المكان المحبب الذي تربع على عرشه فترة من الزمن، ومن ثم يكثر من الموازنة بين زمنين متناقضين، زمن الماضي السعيد، وزمن الحاضر الكئيب، فهو يتحسر على الزمن الماضي، حيث لم يعد له قيان ولا قصور، فالمكان قد ضاع، وضاع كل ما فيه من متاع وملذات، ويغلب على لغة المعتمد هنا لغة الذكريات حيث الاستسلام التام لما حدث، عكس المقطوعة السابقة التي كان يغلب عليها لغة البسالة والشجاعة.

ارتبط المعجم الشعري للمعتمد بتجربته وعاطفته ووجدانه، وانعكس ذلك على ألفاظه وعباراته التي ينتقيها، فهي التي تنقل تجربته وتشف عن وجدانه، ومن ثم جاءت لغته موحيةً ومؤثرة فـ " التعبير عن الوجدان يستلزم ألفاظا ذات دلالات نفسية وشعورية خاصة، قادرة على تصوير أحاسيس الشاعر،وعلى التأثير في نفس القارئ أو السامع، لتحدث عنده إحساسا مماثلا،وتنقل إليه تجربة الشاعر كاملة" (٩٦).

جاءت لغة المعتمد في هذه القصيدة معبرة عن مأساته،عاكسة نفسيته الحزينة وتجربته المريرة، فنغمة الحزن واضحة في الأغنية، وقد وفق الشاعر في استعمال الفعل(ثقلت) لما يوحي به من الثقل والسآمة، وقد أكثر الشاعر من الجناس (غنتك-أغماتية) – (شأنه – شاني) – (قينته – قيان) – (قصره – مقاصر)، وهذا يعطي للقصيدة إيقاعا موسيقيا وترددا نغميا،بالإضافة إلى تحسر الشاعر على ماضيه،فلم يعد للشاعر قيان ولا قصور،وقد وفق في استخدام الجناس(شأنه – شاني) لأنه يعبر عن أمرين متناقضين أو زمنين متقابلين (قديما وحديثا) أو(وطنه وسجنه).

وقد نجح المعتمد في تصوير الرمح بالثعبان في أيام الفروسية والشجاعة والملك،وتصوير القيد بالثعبان في مرحلة الأسر والسجن، فالمشبه يختلف في الشطرين والمشبه به واحد،ووفق أيضا في استخدام الصورة الاستعارية في مطلع الأبيات(غنتك أغماتية الألحان)، وهنا " يتعاون في

تشكيل الصورة حواس الشاعر وملكاته، وقدرته في الربط بين الأشياء المتباعدة بالتشبيه، وقد يعقد الصلة بين الإنسان والطبيعة بالاستعارة، فيجعل من الطبيعة ذاتا ومن الذات طبيعة خارجة فتجمع الصورة من التشبيه والاستعارة وغيرها من أداء وسائل الأداء المجازي والتصوير البلاغي"[٩٧].

إن المتأمل في شعر المعتمد، وهو في أسره وسجنه، يجد كثيراً من المتناقضات، فتارة يحيى أوطانه، وتارة يبكي ملكه وقصوره، ومرة يرثي حاله وحال ضياع أسرته، ومرة أخرى تسمع صوت المستسلم لقضاء الله، وكل هذه المتناقضات منشؤها المكان، وأعني المكان المفقود (الوطن)، والمكان المعادي والمرفوض (السجن)، فالمكان المفقود بالنسبة إلى المعتمد ليس مجرد سطح جغرافي كان يحكمه ويأوي إليه، وإنما هو مكان يحوي عمر الشاعر، حياته بكل ما فيها من شعر ومجالس أدب. ومن لهو وطرب، وكذا حياته بكل ما فيها من حب وصداقات ومغامرات[٩٨] .

فيقول لمّا آلمه القيد وهو أسير[٩٩]:

تبدلت من عز ظل البنود ... بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سناناً ذليقا ... وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
فقد صار ذاك وذا أدهما ... يعضّ بساقيّ عض الأسود

فالشاعر يعتمد على المقابلات والطباقات لإظهار ما كان عليه وما آل إليه فنجد،(عز البنود – ذل الحديد وثقل القيود)، وكذلك الصورة التي يصور فيها حديد القيد وهو يأكل في ساقه ويعضه بالأسد الذي يأكل ويعض في فريسته.

ولا يزال المعتمد يقارن بين حاله السابقة وهو يهز سيفه ويحصد هامات أعدائه وحاله الآن وهو مقيد بقيود أظهرت حجولاً في ساقيه حيث يقول [١٠٠] :

لك الحمد من بعد السيوف كبول ... بساقيّ منها في السجون حجول
وكنا إذا حانت لنحر فريضة ... ونادت بأوقات الصلاة طبول
شهدنا فكبرنا فظلت سيوفنا ... تصلي بهامات العدا فتطيل

إن الانتماء المكاني لشاعرنا يظهر بوضوح عندما يعاني قسوة السجن، فينشغل في سجنه بالإبحار في الزمن الماضي، ويقارن بين حاله القديم والحال الجديد الذي هو فيه، فالمعتمد من الملوك، وله مكانته، ولذا يحن إلى قصوره في إشبيلية، وعندما يذكرها " يزداد حنينه إليها، ويتمنى أن يعود لسكانها والاستمتاع بمباهجها، ولكن هيهات هيهات، فقد مضت تلك الليالي الحافلة بمباهج الترف ومجالس الأنس والطرب ولا عودة [١٠١].

يبكي المعتمد ملكه المفقود، بل يجعل قصوره أشخاصاً تبكيه بعد محنته، يقول[١٠٢]:

بكى المبارك في إثر ابن عباد بكى على إثر غزلان وآساد
بكت ثرياه - لا غمت كواكبها - بمثل نوء الثريا الرائح الغادي
بكى الوحيد، بكى الزاهي، وقبته والنهر التاج كل ذلة بادي

فالأبيات مفعمة بالحسرة والألم، وتتجلى مأساة المعتمد في علاقته وارتباطه بهذه الأماكن، وحنينه إليها، فهي التي شهدت أيام عزه ومجده وأنسه، ولذا يعددها بأسمائها، ويبكي عليها، بل هي التي تبكي عليه في صورة تشخيصية رائعة، وهذا يدل على مكانة الشاعر القوية وارتباطه بهذه الأماكن، وانتمائه إليها، وانتمائها إليه، فـ "علاقة الإنسان بالمكان علاقة تأثير متبادل، فالإنسان يمارس فاعليته في المكان، بل ويغير من طبيعته في كثير من الأحيان، ثم يعود المكان فيمارس تأثيره على الإنسان في دورة لا تنتهي من التأثير المتبادل " [١٠٣].

ولغة الشاعر يغلب عليها الحزن والبكاء، وتكرار لفظة البكاء واعتماد الشاعر عليها في مطالع أبياته تعكس لنا نفسيته الحزينة، وتجربته المريرة التي يريد أن ينقلها إلينا كي نشاركه أحزانه على وطنه المسلوب " وكلما ترددت بعض الكلمات بنفسها أو بمفرداتها أو بتركيب يؤدي معناها كونت حقلاً أو حقولاً دلالية " [١٠٤]، وذكر هذه الأسماء بعينها (المبارك، والوحيد،

والزاهـي، والزاهـر) تجعـل الشـاعر كأنـه " يبكـي علـى أعـزة فقـدهم فينـدبهم، ويسـميهم بأسـمائهم حسـرة وحزنـاً علـيهم، وبـين الماضـي المجيـد والحاضـر الذليل، بين (كان) و (أصبـح) يحتـرق الشـاعر شـوقاً، ويتمـزق لوعـة وحسـرة على قصوره التي خلفها وراءه، على عزه الغابر ومجده الضائع، فيبكي دون انقطاع " [١٠٥]، ويقرر د/ سعد شلبي أن " تكرار كلمـة بكـى لـه دلالتـه القويـة علـى أن الشـاعر ينعـي نفسـه علـى لسـان قصـوره، وأنـه تحـدث حـين صـمت أشياعه وأتباعه وأحس بالفقد والضياع " [١٠٦].

والتكرار في شعر المعتمد، وخاصة في هذه المقطعة عن طريق الفعل (بكي) " وسيله مشروعه في لغة الانفعال، ومن أهم بواعثه الباعث النفسي المتمثـل فـي إعـادة مـا وقـع فـي القلـب ولصـق بـالنفس، فاتجهـت إليـه همـة المتكلم وعنايته " [١٠٧].

وعلي الرغم من قلة صور المعتمد في ديوانـه إلا أننـا نحـس فـي هـذه الأبيـات بصـورة بصـرية سـمعية فـي لفظـة (بكـي) فنـري الـدموع تـذرف وفـي الوقت نفسه نسمع صوت البكاء، ثم شبه هذه الأمكنـه بالإنسـان الـذي يحـس ويتـألم ويشـعر بالـذل والهـوان فـي صـورة تشخيصـية عـن طريـق الاسـتعارة المكنية مما يدل علي ارتبـاط الشـاعر بهـذه الأمكنـة وانتمائـه إليهـا " فالصـورة هي الوسيلة التي يلجأ إليها الأديب ليوقظ النفوس، ويهيج العواطف، وينقل فكرته وعاطفته إلى قرائه وسامعيه " [١٠٨].

وفـي قطعـة أدبيـة رائعـة يـرتبط المعتمـد بالماضـي السـعيد، ويحـن إلـى الأماكن الجميلة التي كان يأنس بها فيقول [١٠٩] :

غريـــب بـــأرض المغـــربين أســـير ســـيبكي عليـــه منـــبر وســـرير
وتندبـــه البـــيض الصـــوارم والقنـــا وينهـــلّ دمـــعٌ بيـــنهن غزيـــر
ســـيبكيه في زاهيـــه والزاهـــر النـــدى وطلابـــه والعـــرفُ ثـــم نكـــير

فالأبيات تشر إلى الشاعر والمكان الذي آل إليه، وهو يجانس بينهما فـي إبـداع رائـع، كمـا تشـير الأبيـات إلـى مكـانين آخـرين (المنبـر والسـرير) ويجعلهمـا يبكيـان علـى المعتمـد فـي صـورة تشخيصـية ،والتشـخيص مـن

العناصر الجمالية التي تبرز الصورة وتعطيها إيحاء ودلالة أقوي أثرا وأكثر عمقا، وهو عملية نفسيه يسعي الشاعر من خلالها إلي التأثير في الآخرين إذ " ترتفع فيه الأشياء إلي مرتبة الإنسان مستعيرة صفاته ومشاعره " (١١٠).

هذا وللصورة أثرها في بيان عالم الشاعر الداخلي واكتشافه، وما يموج فيه من مشاعر وأحاسيس يريد نقلها إلينا فالصورة " تحمل طابع الشاعر الخاص وأصالة الفنان في تصويرها لمشاعره وأفكاره وتأثرها بموضوعها في اختيار الكلمات المشكلة وصور البيان الملائمة للموضوع"(١١١).

كما تشير الأبيات إلى قصرين هما (الزاهي والزاهر) وكذلك (مجلس الأدب)، وكل هذه الأماكن تندبه وتبكي عليه لأنها كانت ترتبط به ارتباطاً وثيقاً، ولذا فهو ينتمي إليها، فصورة الوطن المتمثلة في هذه الأماكن لا تكاد تفارقه، فنراه مرة أخرى يحلق في مكانه المحبب إليه، والأليف إلى نفسه، ويسبح في ماضي ذكرياته ويتمنى بكل لوعه أن يعود إليها أو يبيت ليلة في قصوره (١١٢) :

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... أمامي وخلفي روضة وغدير
بمنبتة الزيتون مورثة العلا ... يغني حمام أو ترنّ طيور

بزاهرها السامي الذي جاده الحيا ... تشير الثريا نحونا ونشير
ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده ... غيورين والصبّ المحب غيور
تراه عسيرا أو يسيرا مناله ... ألا كل ما شاء الإله يسير
قضى الله في حمص الحمام وبعثرت ... هناك منا للنشور قبور

فالشاعر وهو في المكان المغلق (السجن) يتمنى ولو بأحلامه أن يتحرر من هذا المكان ويعود إلى الأماكن المحببة حيث الروضة والغدير وشجرة الزيتون وغناء الحمام وترنيمة الطيور، وقصر الزاهر السامي وقبة الثريا التي تتوسط هذا القصر، ويشير إلى قصر الزاهي وسعد سعوده اللذين يغاران من قصر الزاهر وقبته في صورة تشخيصية لأنهما يحبان الشاعر

أيضاً، ومن ثم احتوى الشاعر الأمكنة في حب متبادل عن طريق مخيلته الشعورية.

وقد وفق الشاعر في استخدام حاسة البصر من خلال الصور التشخيصية في قوله " ويلحظنا الزاهي وسعد سعوده – غيورين والصب المحب غيور " فالزاهي وسعد سعوده ينظران إليه وهو سعيد مع غيرهما فتدب فيهما الغيرة، فالمكان إنسان يحمل مشاعر الغيرة عندما تقع في قلب الصب الذي يغار علي من يحب. وحاسة البصر "أظهر الحواس أثراً وأكثرها أهمية، وذلك لكثرة الإفادة منها، فالإنسان يبصر بها طريقه ويعرف معالمه، ويدرك بها الكائنات الأخرى من الجمادات والأحياء، ويعرف مواقعها وأشكالها وأنواعها، وبذلك يسهل له التعامل مع هذه الأشياء التي سخرها الله له"(١١٣) .

فمن خلال هذه اللغة (لغة الذكريات)، وهذا المعجم يدخل الشاعر عالم المكان الذي ينتمي إليه، سابحاً في الماضي، غارقاً في استحضار شريطه المجسد في زواياه، كما يجسد في هذه اللغة آلامه وأماله، ويصور أحاسيسه وانفعالاته التي يشعر بها حينما كان في ظل ذلك المكان وحينما فارقه، وفي نهاية الأبيات يشير الشاعر إلى الاستسلام للقضاء والقدر حيث حمص (اشبيلية) التي كتب الله عليها أن تسلب من يد حاكمها، وتتعدد فيها قبور أولاده وأهله.

إن المعتمد يتعلق بالماضي ويحن إليه، وينشغل بوطنه، ويتمنى أن يعود إليه، ولو بالأحلام والحنين. " إن الإنسان وهو يتطلع إلى الماضي ويحن إليه يدرك أنه لا يعود أبداً، فذلك الماضي بما فيه من لحظات السعادة، ومرح الشباب، كلها ذكريات مضت، وانقضت بلا رجعة، وتذكر الماضي حينذاك لا يعود أن يكون انعكاساً لما بداخل الإنسان من مشاعر وانفعالات، وحالات نفسية، ولعل الذاكرة لا تنشط وتتحرك إلا من خلال الواقع التعيس المجدب في حياة الإنسان " (١١٤).

ومن خلال علاقة الشاعر بالأماكن المحببة إليه في وطنه نلاحظ أن المعتمد ينتمي إلى ثلاثة أماكن، يحبها ويتغنى بجمالها، ويكثر ذكرها في شعره، فالأول هو قصر المبارك، وقد بكى عليه من قبل، ويرجع بناؤه إلى أيام

المعتضد، وقد خصه المعتمد بكل عنايته ليجعل منه قصراً رائع الجمال، جديراً بإقامته، وقد سجن ابن عمار في إحدى غرفه فوق بابه، وأن جثته دفنت بجانبه، ويؤكد المراكشي أن هذا القصر كان قائماً على أيامه [١١٥]. ويرى ابن الأبار أنه عندما كان يطلب العلم في اشبيلية سنة ٦١٥هـ كان أحد أحياء المدينة يسمى " قصر المبارك " [١١٦]. ويخصه ابن زيدون في قصيدة توجه بها إلى المعتمد ذاكراً إياه وقبته الثريا التي تقع في وسطه قائلاً [١١٧] :

أمـــا الثريـــا فالثريـــا نســـبة ... وإفـــادة وإنافـــة وجمـــالاً
قـــد شـــاقها الأغبـــاب حتـــى أنهـــا ... لـــو تســـتطيع ســـرت إليـــك خيـــالا
رفّـــه ورودكهـــا لتغـــنم راحـــة ... وأطـــل مزاركهـــا لتـــنعم بـــالا
وتمثـــل القصـــر المبـــارك روضـــة ... قـــد وســـطت فيهـــا الثريـــا حـــالا
وأدر هنـــاك مـــن المـــدام أتمهـــا ... أرجـــا زكـــا وأشـــفها جريـــالا
قصـــر يقـــر العـــين منـــه مصـــنع ... بهـــيج الجوانـــب لوشـــي لاختـــالا
لازلت تفترش الســـرور حدائقـــا ... فيه وتلتحف النعيـــم ظـــلالا

والثاني حصن الزاهر الذي يقول عنه ابن خاقان: " وكان الحصن الزاهر من أجمل المواضع لديه وأبهاها، وأحبها إليه وأشهاها لإطلاله على النهر، وإشرافه على القصر، وجماله في العيون، واشتماله بالشجر والزيتون، وكان له (المعتمد) به من الطرب والعيش المزري بحلاوة الضرب، ما لم يكن بحلب لبني حمدان، ولا لسيف بن ذي يزن في رأس غمدان، وكان كثيراً ما يدير به راحه، ويجعل فيه انشراحه، فلما امتد به الزمان إليه بعدوانه وسدّ عليه أبواب سلوانه، لم يحن إلا إليه، ولم يتمن الحلول إلا لديه " [١١٨] .

والثالث قصر الزاهي الذي يطل على الوادي الكبير، وقد ألقى من فوقه بالمطربة البربرية التي جرؤت على السخرية منه، وهي تمدح المرابطين، وكان قصر الزاهي يضم قبة مشهورة يطلق عليها اسم" سعد السعود "وذات يوم أنشد المعتمد شطر هذا البيت [١١٩] :

سعد السعود يتيه فوق الزاهي

ثم استجاز الحاضرين فعجزوا، فقال ابنه الراضي:

وكلاهما في حسنه متناهي

ومـــن اغتـــدى ســـكناً لمثـــل محمـــد قـــد جـــلّ في العليـــا عـــن الأشـــباه
لازال يبلغ فيهما مـــــا شـــــاءه ودهت عداه من الخطوب دواهـــي

ولا يزال الشاعر ينسج خيوط الأمل للعودة إلى المكان الأليف، إلى الجنة المفقودة، إلى أحضان الفرح في ظل المكان المفقود (قصر الزاهي)، حيث يقول(١٢٠) :

تُؤمـــل للـــنفس الشـــجية فرجـــةً وتـــأبى الخطـــوب الســـود إلا تماديـــا
لياليـــك في (زاهيـــك) أصـــفى صـــحبتها كمـــا صـــحبت قبلـــي الملـــوكُ الليـاليـــا
نعيم وبؤس ذا لـــــذلك ناســـــخ وبعدها نسخ المنايـــــا الأمانيـــا

فالشاعر يتوق بنفسه أن تعود إلى الوطن المسلوب، ولكن الخطوب السوداء تعترض هذا الأمل وتقف في طريقه، وتنزع كل محاولة لهذا الأمل، فارتمى الشاعر في أحضان قصره (الزاهي) " رمز الراحة والسكينة والهدوء النفسي، ورمز البهجة والمسرات له ولمن قبله من الملوك من آبائه، ولكن للأسف لم يستطع الشاعر أن يكمل ذكرياته في ذلك المكان، فقد اعتصرت الهموم التي يشعر بها فرحة الاستمتاع بالماضي، فلجأ إلى عقد مقارنة بين زمنين متناقضين في مكانين متناقضين وحالتين متناقضين (نعيم/ الزهر) و (بؤس / السجن) ليظهر عمق مأساته، فقد نسخ البؤس النعيم كما تنسخ المنايا الأماني وتمحوها من الوجود إذا حان وقتها وحلت بالإنسان " (١٢١).

وقد وصف ابن عبدون قصر الزاهي بالسنا والحسن قائلاً (١٢٢):
وفيها يركز على بهوه وما فيه من صور للحيوان والشجر:

وللزاهي الكمال سنا وحسنا كما وسع الجلالة والكمالا

وهكذا رأينا المعتمد بن عباد في كثير من أشعاره يستحضر كثيراً من الأمكنة التي ارتبط بها في أرضه، ورأى فيها معنى الحب والوفاء، ومعنى الارتباط والالتصاق، فكان شديد التأثر بفقدها، كثير الحلم بالعودة إليها، واستحضار المكان بهذه الصورة، لا يدل إلا على الانتماء والحب، واستحضار الشاعر مجموعة آلامه وأماله وأفراحه وأحزانه عن طريق شعره لا يأتي إلا من خلال المكان واستحضاره.

وأخيراً يمكن أن نقول إن لغة الشاعر في معظم شعره جاءت سهله بسيطة واضحة متشحة الحزن مشحونة بالدموع في أغلب الأحيان لتناسب تجربته وخاصة في شعر الانتماء الأسري عندما فقد أبناءه فهم أعز الناس عنده، وكلما كانت كارثة الفقد لعزيز أو حبيب توهجت العاطفة واشتد أوارها، ومن ثم فهي تهز القلوب وتثير الأسى في النفوس . وأما شعر الانتماء المكاني فقد أكثر الشاعر فيه من لغة الذكريات عندما فقد حريته ووطنه، ولغة الحزن عندما رثى ملكه ومجده المسلوب . وأما الصورة فقد جاءت قليلة والتشبيهات مألوفة، والموسيقى مناسبة لانفعالاته، ففي فترة الأسر نجد البحور الطويلة التي تلائم التأمل والأناة، وجاءت قوافيه مذللة ومحكمة وهذا يدل على قدرة الشاعر الفنية.

المبحث الثالث

انتمـــاءات أخـــرى

هناك انتماءات أخرى رصدناها في شعر المعتمد بن عباد إلى جانب الانتمـاء الأسـري، والانتمـاء المكـاني، فهنـاك الانتمـاء العرقـي والانتمـاء السياسي والاجتماعي والانتماء الأدبي والانتماء الديني.

أما الانتماء العرقي، فالمعتمد ينتمي إلى جنس العرب، فهو عربي خالص ينتمي إلى قبيلة لخم العربية، وقد سبق أن أشرنا إلى جدوده السابقين ومنهم المنذر بن ماء السماء، وكانت إشبيلية من الممالك التي حكمها العرب إبّان عصر الطوائف، وعلى رأسهم القاضي محمد بن إسماعيل عباد، وقد سكن هؤلاء الأندلسيون العرب المدن وملكوا الضياع في أنحاء شبه الجزيرة، ولم تكن الوظائف الكبرى في الدولة وقفاً عليهم، بل إن البربر الذين كانوا يقطنون في الإقليم الجنوبي " كان منهم أمراء وقضاة وعلماء، وكتاب للملوك وكثير من رجال الشرع " (١٢٣) .

وكان لقبيلة صنهاجة من البربر مكانة عظيمة أشار إلها ابن حزم، فعّد منهم القواد وكتاب العلم والرواة (١٢٤)، وكان لهؤلاء البربريين فضل السبق في اجتياز الأندلس إلا أنهم كانوا يحقدون على العرب، وذلك راجع إلى أسباب منها استئثار العرب بالمناطق الخصبة في أرض الأندلس وترك المناطق الجبلية لهؤلاء البرابرة.

إذن فقد كانت هناك أسباب نفسية وراء حقد البربر لجنس العرب، وبعض الأشعار توضح لنا الصفات الغالبة في المزاج البربري، وتقدم لنا أيضاً الأسباب النفسية للعداوة الخفية التي كانت تفصل الأندليسين عن العرب، لقد كتب المعتمد إلى والده المعتضد بعد النكسة التي منى بها أمام مالقة يعتذر إليه (١٢٥) :

قـــومٌ نصـــيحتهم غـــش، وحـــبهم بغـــضُ، ونفعهـــم - إن صـــرفوا - ضـــررُ
تميِّـــز الفـــيظ في الألفـــاظ إن نطقـــوا وتعـــرف الحقـــد في الألحـــاظ إن نظـــروا

فالمعتمد يوضح لنا طبيعة أخلاق جنس العرب، فنصيحتهم غش، وحبهم بغض، ونفعهم ضرر، وألفاظهم فها غلظة، وعيونهم فها حقد، ومن ثم فهم يكرهون العرب، ويضمرون البغض والحقد في قلوبهم وبين ضلوعهم، وليس أدل على ذلك من وصف موسى بن نصير – فاتح الأندلس – البربر للخليفة الأموي سليمان شقيق الوليد بقوله: " إنهم قوم منافقون لا يعرف لهم شبيه، ولا يفون بوعد أو عهد " (١٢٦).

كان الجنس البربري يمثل الغالبية العظمى في شبه الجزيرة، فقد وفدوا منذ الفتح في مجموعات كبيرة من قبيلة زناتة ثم من قبيلة صنهاجة، وقد تولوا كثيراً من الممالك والمدن عقب الفتنة، وكان من أشهرهم حبوس بن ماكسن الصنهاجي في البيرة (غرناطة)، وبنو رزين في بطليوس، وبنو ذي النون في طليطلة، وبنو الأفطس في بلطيوس(١٢٧). وكل هذا يدل على أن الجنس البربري كان يمثل الكثرة إلى جانب الجيش العربي، وقد رصد لنا بعض الشعراء هذا الانتماء العرقي لكل جنس من الجنسين، فالبربر يحقدون على العرب، والعرب تحتقر بشدة هؤلاء الأفارقة الجهال، ومن ذلك قول السميسر (١٢٨):

رأيـــت آدم في نـــومي فقلـــت لـــه : أبـــا البريـــة إن النـــاس قـــد حكمـــوا
أن البرابـــر نســـل منـــك، قـــال : إذن حـــواء طالقـــة إن كـــان مـــا زعمـــوا

وكان يوسف بن تاشفين أمير المرابطين بربرياً، وقد تحين الفرصة في الأندلس، فخلع حكامها، وعلى رأسهم المعتمد بن عباد، وقد قص لنا الحجاري في المسهب حكاية تنبئ عن هذا الحقد، وهذه الكراهية من البربر من جهة، وأهل الأندلس من جهة أخرى، فيقول: " إن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أهدى إلى المعتمد جارية مغنية قد نشأت بالعدوة، وأهل العدوة بالطبع يكرهون أهل الأندلس، وجاء بها إلى إشبيلية، وقد كثر الإرجاف بأن سلطان الملثمين ينتزع بلاد ملوك الطوائف منهم، واشتغل خاطر ابن عباد بالفكر في

ذلك، فخرج بها إلى قصر الزاهر على نهر إشبيلية، وقعد على الراح، فخطر بفركها أن غنت عندما انتشى هذه الأبيات(١٢٩):

حملوا قلوب الأسد بين ضلوعهم ولووا عمائهم على الأقمار
وتقلدوا يوم الوغى هندية أمضى إذا انتضيت من الأقدار
إن خوفوك لقيت كل كريهة أو أمنوك حللت دار قرار

فوقع في قلبه أنها عرضت بساداتها، فلم يملك غضبه، ورمى بها في النهر، فهلكت " (١٣٠) . ويبدو أن كلمة واحدة في أبيات الجارية رنت في سمع المعتمد " عمائم " والبربر وحدهم يلبسونها فأيقظت في أعماقه كراهية أهل العدوة الأخرى، والود العميق لعشيرته.

لقد وصف المعتمد هؤلاء البربر وعلى رأسهم ابن تاشفين عندما اقتحموا قصره، وفرقوا جمعه، وظل يدافع أمامهم عن ملكه، وصفهم بالأعداء في قوله:

أن يسلب القوم العدا ملكي وتسلمني الجموع

وكان المعتضد – والد المعتمد – عدو البربر الألد، ولذا يمدحه ابن عمار في كثير من أبياته بقوله (١٣١) :

شقيت بسيفك أمة لم تعتقد إلا اليهود وإن تسمت بربرا

ويقول أيضاً (١٣٢) :

لك الله إن كانت عداتك بعضها لبعض، فكل منهم جميعاً إلى فرد
يهوداً وكانت بربرا فانتض الظبا وأنبئهم منها بالسنة لدّ

وهكذا كان المعتمد بن عباد يجسم بحق نموذج الأمير العربي أو الأندلسي أو الإسباني بانتمائه إلى هذا الجنس العرقي، وكان الرمز الكامل لهذا الجنس في اختلافه جوهرياً عن العنصر الأفريقي ذي الأصول البربرية.

أما الانتماء السياسي والاجتماعي فقد جمعنا بينهما، لأن سمة كل منهما تدخل في الأخرى بحيث يصعب الفصل بينهما، فكل طبقة من طبقات المجتمع لها وظيفة اجتماعية ووظيفة أخرى سياسية.

لكل مجتمع من المجتمعات طبقتان أساسيتان، طبقة الملوك والأمراء والوزراء والكُتاب وبقية وجوه الدولة، وهؤلاء يتمتعون بالثراء، وطبقة العامة التي تعيش للبؤس وتحيا للحرمان، وهناك علاقة سياسية تربط بينهما، فالملوك هم حكام العامة، والرعية المحكومين، وعندما تنتزع السلطة من أيديهم يهبطون إلى منزلة العامة (١٣٣).

ينتمي المعتمد إلى طبقة الأمراء والملوك، تلك الطبقة التي عاشت في رغد من العيش وأنشدت الشعر في كثير من الأغراض كالغزل والوصف والخمر والاستعطاف والمراسلات، ولم يكن تتجه إلى شعر المدح والتكسب إلا في القليل.

فالمعتمد تغزل في كثير من جواريه وزوجاته، واستطاعت كثير منهن أن تستهوي قلبه فتنازل عن كثير من جلاله وكبريائه فكثرت معاني الغزل على لسانه، وقد سبق أن أشرنا إلى كثير من شعره في جواريه وزوجاته في المبحث الخاص بالانتماء الأسري.

وغزل الملوك يكثر به اللهو والظرف والاعتداد بالشخصية، ودائماً ما يشيع فيه الوصال ومواتاة الحبيب، فيقول مثلاً(١٣٤):

فتكت مقلتاه بالقلب مني ... وبكت مقلتاي شوقاً إليه
فحكى لحظه لنا سيف عباد، ودمعي له سحاب يديه

ويقول أيضاً (١٣٥):

أأهجر ظبيا في ضلوعي كناسه ... وبدر تمام في جفوني مطالعه
وروضة حسن اجتنيها وبارد ... من الظلم لم تخطر على شرائعه
إذا عدمت كفي نوالا تفيضه ... على معتفيها أو عدوا تقارعه

وأما شعر الفخر والحماسة فقد صوره المعتمد في كثير من قصائده، حيث يقول بعد أن فتح قرطبة واستولى عليها[١٣٦] :

من للملوك بشأو الأصيد البطل هيهات جاءتكم مهدية الدول
خطبت قرطبة الحسناء إذ امتنعت من جاء يخطبها بالبيض والأسل

ويقول أيضاً [١٣٧] :

ملك تضاءلت الملوك لقدره وعنا له صرف الزمان الجائر
وإذا لمحت جبينه ويمينه أبصرت بدراً فوق بحر زاخر

" والملك إن لم تضمه يد قوية، وتسهر عليه عيون يواقظ فهو صائر حتماً إلى زوال " [١٣٨]، وهذا ما حدث للمعتمد بن عباد عندما سلب ملكه وتبدل حاله فانتقل من طبقة الملوك إلى طبقة العامة، وقد عبّر عن ذلك في كثير من أشعاره، حيث يقول[١٣٩]:

قد كان إن سئل الندى يُجزل وإن نادى الصريخ ببابه اركب يركب

ويقول أيضاً [١٤٠] :

أصبحت صفرا يدي مما تجود به ما أعجب الحادث المقدور في رجب
ذل وفقر أزالا عزة وغنى نعمى الليالي من البلوى على كثب
قد كان يستلب الجبار مهجته بطش، ويحيا قتيل الفقر في طلبي
والملك يحرسه في ظل واهبه غلب من العجم أو شمّ من العرب

وإذا كان المعتمد قد تميز بالغزل والفخر فقد برز أقرانه في فن " الرسائل الشعرية " [١٤١]، التي تميز بها مع أبيه وولده وأصدقائه وشعرائه، وتميز هذا الفن بالصدق الخالص في شعر المعتمد.

والملاحظ في شعر المعتمد بن عباد الملك الأسير أنه لم يستعطف أو يسترحم أو يستشفع، ولم نحس فيه بروح الثورة إلا " عندما بلغ نبأ ثورة ابنه عبد الجبار، فهنا يذكر المعتمد السيف الذي طال رقاده في جفنه، والرمح

الذي عطش إلى شرب الدماء، والجواد وقد حيل بينه وبين ارتقاب غرة في العدو فينادي قائلاً [١٤٢] :

ألا شـــرفُ يـــرحم المشـــرفى ي ، ممـــا بـــه مـــن شمـــات الـــوتين
ألا كـــرم يـــنعش الســـمهري ويشـــفيه مـــن كـــل داء دفـــين
ألا حنـــة لابـــن محنيـــة شـــديد الحـــنين ضـــعيف الأنـــين

اعتمد المعتمد في هذه الأبيات على أسلوب الاستفهام الذي تكرر في مطلع الأبيات الثلاثة عن طريق الهمزة التي يراد بها طلب الفهم أو يطلب بها تصورا أو تصديقا[١٤٣]. وهذا يؤكد على الثورة وحفز الهمة، ويبدو أن هذه هي المرة الوحيدة التي رأينا فيها المعتمد يثور ويستنهض الهمم بعد مقتل ابنه عبد الجبار ،وهذه هي المقطعة الوحيدة التي اختار لها المعتمد في محنته وأسره بحرا يشعر بالسرعة،وهو المتقارب السريع الحركة، لأن ذلك يعبر عن انفعال سريع.

ومن الأشعار التي قالها المعتمد، وتسجل انتماءه السياسي والاجتماعي، قوله في العروبة أو الزلاقة، تلك المعركة التي أبلى فيها بلاءً حسناً، وأظهرت شجاعته واستبساله، وكانت بين المعتمد وأمراء الأندلس والمرابطين من جهة وألفونس السادس ملك قشتالة من جهة أخرى، وقد سجل ذلك في حديثه عن ابنه الصغير هاشم عندما تذكره ورحى القتال دائرة، فقال [١٤٤] :

أبـــا هاشـــم هشـــمتني الشـــفار فلله صـــبري لـــذاك الأوار
ذكـــرت شخصـــيك مـــا بينهـــا فلـــم يـــدعني حبـــه للفـــرار

ويقول في غلام رآه يوم العروبة في العراك [١٤٥] :

ولمـــا اقتحمـــت الـــوغى دراعـــا وقنّعـــت وجهـــك بـــالمغفر
حســـبنا محيـــاك شمـــس الضـــحى عليهـــا ســـحاب مـــن العنـــبر

فالصورة في البيت الثاني جميلة حيث شبه هذا الغلام وعليه درعه ومغفره بالشمس الساطعة التي يجللها السحاب العنبري،وهي صورة بصرية وسمعية وشمية،وهكذا صور المعتمد في جوانب كثيرة من شعره الانتماء السياسي والاجتماعي، فرأيناه أميراً وملكاً فتغزل ووصف وراسل، وعندما أسر وسجن لم يثر أو يستعطف أو يهدد ويتوعد، وإنما رأينا الاستسلام والبكاء والخضوع التام.

أما الانتماء الأدبي في شعر المعتمد بن عباد فيمكن القول بأن شاعرنا ولد في مهاد الملك، وعاش أميراً فملكاً، وكان " يشبه بهارون الواثق بالله، من ملوك بني العباس: ذكاء نفس، وغزارة أدب، وكان شعره كالحلل المنشرة، واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس " (١٤٦).

يقول بالنثيا في كتابه تاريخ الفكر الأندلسي: " وكان لكل أمير من أمراء الطوائف ميزة اختص بها دون جيرانه، فامتاز المتوكل – صاحب بطليوس – بالعلم الغزير، وامتاز ابن ذي النون – صاحب طليطلة – بالبذخ البالغ ... أما الشعر فكان أمراً مشتركاً بينهم جميعاً، يلقي منهم كل رعاية، ولكن عناية بني عباد – أصحاب إشبيلية الجميلة – به كانت أعظم وأشمل"(١٤٧).

نشّأ الملوك أبناءهم على قول الشعر، فكان المعتمد كأبيه وجده شاعراً صادقاً، وكثيراً ما كان المعتضد يختبر شاعرية المعتمد من حين لآخر، فيراسله شعراً، ويشجعه على قرض الشعر،فيطلب منه أن يصف مجناً فيصفه (١٤٨)، ويستهدي المعتمد أباه تارة(١٤٩). ويستعطفه أخرى (١٥٠)، وكل ذلك عن طريق الشعر، وكان هذا الشعر الذي يحبه المعتمد وينتمي إليه سبباً في انتقال جارية على شاطئ نهر تغسل الملابس إلى ملكه تسكن القصور بإجازتها شطر بيت أنشده المعتمد (١٥١).

ينتمي المعتمد إذن إلى أسرة أدبية، فالجد والأب والزوجة وبعض الأبناء كالرشيد وبثينة كلهم شعراء، وقد بلغ من حبه للشعر أنه كان يرغب في كبار الشعراء ويتودد إليهم ويجهد في أن يجعلهم إلى جواره، لا من أهل

الأندلس فحسب، بل من الأفارقة والصقلبيين أيضاً، فيروي ابن خلكان [١٥٢] أنه أغرى كلا من أبي الحسن على القيرواني الحصري الشاعر وأبا العرب شاعر صقلية، أغراهما بقدوم الأندلس، والقدوم إليه، على الرغم من امتلاء بلاطه بأساطين الشعر وفحول الشعراء، ولكنها الرغبة والحب بالشعر والشعراء.

أغرم المعتمد بالشعر، فكانت حياته كلها وقفاً عليه، فإذا كتب رقعة من أجل دعوة كتبها بالشعر، وكثيراً ما كان يرسل إلى وزرائه وندمائه وشعرائه رسائل بالشعر، وهذا يدل على غرامه وانتمائه وشغفه بالشعر والشعراء.

يمثل المعتمد بن عباد نموذج الأمير الفارس والملك الشاعر، فكان بلاطه ممتلئا بالأدباء والشعراء " وفي أيامه نفقت سوق الأدباء فتسابقوا إليه وتهافتوا عليه، وقد خص هؤلاء وغيرهم برعايته وجوده، وقد خصص لها يوماً أسبوعياً يستقبلهم فيه، وينصت إلى أشعارهم، فعرف في عهده ما يسمى بالمجالس الأدبية والأندية الفكرية وهي تمثل له زاداً لا ينضب، فكان بلاطه مزدحماً أدباء وشعراء، كابن زيدون وابن عمار وابن اللبانة وابن حمد يس وابن عبد الصمد وابن وهبون ... وغيرهم " [١٥٣].ولذا نرى " أن الأدب القومي كان هاجس المفكرين الأندلسيين،وأن الدعوة له تمثل الانتماء الأندلسي الخالص" [١٥٤] .

وكان شعره صورة للحياة التي عاشها في فترتي حياته، فترة الإمارة والملك حيث حياة الترف والنعيم، وفترة الأسر والسجن حيث حياة البؤس والشقاء، فيقول في الأولى [١٥٥]:

ولقد شربتُ الرَاح يسطعُ نورُها ... والليلُ قد مدَ الظلام رداءَ
حتى تبَدَّى البدرُ في جوزائه ... ملكاً تناهى بهجةً وبهاء
لما أراد تنزهاً في غربهِ ... جعل المظلَة فوقه الجوزاءَ
وتناهضت زهرالنجوم يحفُّه ... لألاؤها ، فاستكمل الآلاءَ
وترى الكواكب كالمواكب حوله ... رفعت ثريَّاها عليه لواء
وحكيتُه في الأرض بين مواكبٍ ... وكواكب جمعت سناً وسناء

إن نشـــرت بكـــل الـــدروع حنادســـاً مـــلأت لنـــا هـــذى الكـــوؤس ضـــياء
وإذا تغنَّـــــت هـــــذه في مزهـــــرٍ لم تـــأل تلـــك علـــى التَّرَّيـــك غنـــاء

فـالمعجم الشـعري الـذي يسـيطر علـى الشـاعرفي هـذه المقطعـة هـو الطبيعة وما فيها من نور وظلام وليل وبدر ونجوم وكواكب وجوزاء وثريا ولذا شاركته فرحته وهو يشرب الخمر ، والجنـاس في قولـه(مواكب وكواكب)و(سنا وسـناء) قـد سـاعد علـى إتمـام الـنغم الموسـيقي،والصـور الاسـتعارية كقولـه (الليل رداء–الليل يتنزه– الثريا لواء). والتشبيه في(الكواكب كالمواكب)، كل هذه الصور تنقل لنا فكرة الشاعر وعاطفته

ولعّل أروع ما يمثل شعره في الفترة الثانية حيث حياة البؤس والشقاء قوله مناجياً قيده الذي غلت به قدماه، وقد دخل عليه ابنه الصغير أبو هاشم فارتاع له [١٥٦]:

قيـــدي أمـــا تعلمـــني مســـلما ؟ أبيـــت أن تشـــفق أو ترحمـــا

كان الشعر هو الغذاء الروحي للمعتمد في أسره، والعزاء في محبسه، يبثه كامن حزنه، وينفث فيه ذاهب مجده، ويتوجع فيه لمصرع بنيه وفلذة كبده، ومن ثم يمكن القول بأن المعتمد كان ينتمي إلى دولة الأدب ومجالس الشعر،"وفي سجنه قال أجمل شعره على الإطلاق"[١٥٧]، وأصدر غرسيه غومث حكمه النقدي عليه بقوله:"لقد تجاوز بشعره في سجنه حد العالمية"[١٥٨]، حيث "لم يكن في الأندلس قبله أشعر منه ولا أوسع مادة" [١٥٩]، علماً بأنه كان لا يرتزق بهذا الشعر، فهو الأمير والملك وأشعر شعراء الأندلس في عصر الطوائف، يقول لأبيه [١٦٠]:

إليـك روضـة فكـري جـاء منبتهـا نـدى يمينـك، لا طـلّ ولا مطـر
جعلـت ذكـراك في أرجائهـا شـجرا فكـل أوقاتهـا للمجـتني ثمـر

وأما الانتماء الديني فإن المعتمد ينتمي إلى دين الإسلام، وكان النصارى القشتاليون يزاحمون المسلمين في عصر الطوائف، وينسب للمعتمد

مقولة مشهورة يفهم منها انتماء هذا الرجل الفارس الشجاع إلى دين الإسلام، وهي: " رعى الجمال في الصحراء خير من رعى الخنازير في قشتالة " . فهو يفضل أن يكون تحت إمرة ابن تاشفين البربري المسلم، ولا يكون من رقيق ألفونس السادس ملك النصارى في قشتالة، لا لشيء إلا الانتماء الديني للإسلام.فقد طلب أذفونش بن فردلند منه الضريبة،علاوة على أنه طلب منه أن تلد امرأته (القمطجية) في جامع قرطبة،فما كان من الأمير المسلم أن ضرب بدواة كانت بين يديه رأس هذا اليهودي الرسول فسقط دماغه في حلقه،وأمر المعتمد به فصلب منكوسا بقرطبة،ثم استفتى الفقهاء في عمله هذا فأجازوه (١٦١).

وقد أورد لنا ابن الخطيب في كتابه أعمال الأعلام معتمداً على مصدر قديم لم يذكرنه أن المعتمد استشار أولياءه في دعوة المرابطين إلى الأندلس، فقال له ولده الرشيد ما معناه: " حاول الأمر بجهدك مع النصراني، ولا تستعجل بإدخال من يسلبنا الملك، ويشتت الشمل، فالناس من علمت " فقال المعتمد: " يا ولدي لأن أموت راعياً بالمغرب خير عندي من أن أرد الأندلس دار كفر، فتكون اللعنة علىّ من المسلمين أبد الدهر "، فقال: " يا أبت افعل ما أراد الله " (١٦٢).

والمتأمل في ديوان المعتمد يجد أشعاراً كثيرة تدلل على هذا الانتماء الديني للإسلام، ومنها أنه كتب إلى يوسف بن تاشفين قبل معركة الزلاقة الشهيرة يخبره بأن حسن الطالع معه وأن النصر حليفه، وأن يوم الزلاقة سيشبه يوم انتصار المسلمين على الكفار في بدر، وأن سيف ابن تاشفين سخط على دين الصليب، فيقول (١٦٣) :

غزو عليك مبارك ... في طيه الفتح القريب
لله سيفك، إنه ... سخط على دين الصليب
لابد من يوم يكون ... له أخ ريوم القليب

وعندما يخاطب سيفه ويطلب من أن يترفق به يخبره بأنه مسلم يستوجب الرحمة والشفقة حيث يقول :

قيدي أما تعلمني مسلماً ؟ أبيت أن تشفق أو ترحما

وعندما تنصرم الدنيا من بين يديه، ولا يعد له من الأمر شيء، يزهد فيها ويصفها بالدناءة في أسلوب مؤثر يتسم بالصدق والانفعال [١٦٤] :

أرى الدنيا الدنية لا تواتي فاجمل في التصرف والطلاب

ولا يغررك منها حسن برد له علمان من ذهب الذهاب

فأولها رجاء من سراب وآخرها رداء من تراب

وعندما يقترب من دنو أجله يكتب أبياتا، ويطلب أن تكتب على قبره، مطلعها[١٦٥]:

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي حقا ظلمت بأشلاء ابن عباد

ومنها:

نعم هو الحق وافاني به قدر من الإله فوافاني ليعاد

فالمعتمد رجل مؤمن ،وتصدر هذه الأبيات عن نفس مستسلمة لقدر الله،فالموت حق على الجميع ،والأعمار مقدرة من الله،ولا يملك إلا أن يستسلم لقضاء الله وقدره.

وعندما تتكالب عليه الهموم والأحزان فلا يجد إلا الاستغفار،وطلب المغفرة من الله تدلل على إيمانه بربه،وانتمائه لدينه:

أسر وعسر ولا يسر اؤمله أستغفر الله كم لله من نظر

وفي إشارات كثيرة بين ديوانه نستطلع أبياتاً تتخللها كلمات تدل على انتماء الشاعر الديني ومنها " يوم الحشر، اجتماع الدين والدنيا، صلوات الله ...الخ " .

وعندما عبر المعتمد إلى المغرب بعد أن قُبض عليه، ونفى إلى هناك، وفي طريقه إلى أغمات رأى في مكان ما جماعة من المسلمين تجمعوا في الهواء الطلق ليؤدوا صلاة الاستسقاء، فقال [١٦٦]:

خرجوا ليستسقوا فقلت لهم دمعي ينوب لكم عن الأنواء

قالوا: حقيق في دموعك مقنع لكنها ممزوجة بدماء

فهذا الشعر يدل على أن المعتمد شاعر ينتمي إلى جماعة المسلمين الذين اقتنعوا بدموعه الفياضة التي تغنيهم عن المطر الذي يطلبونه إلا إن

دموعه غير صافية فهي مختلطة بالدماء من فرط البكاء والتوجع على ملكه المسلوب.

وللمعتمد قطعة أدبية خفيفة الظل، يقولها في منجمه أبي بكر الخولاني بعد أن احتل المرابطون إشبيلية، تدل على أن الأندلسيين كانوا يعتقدون في علم المنجمين، ولكنه اعتقاد مصحوب بشيء من الشك، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، يقول(١٦٧):

أرمدت أم بنجومك الرمد ... قد عاد ضدا كل ما تعد
هل في حسابك ما نؤمله ... أم قد تصرم عندك الأمد
قد كنت تهمس إذ تخاطبني ... وتخط كرها إن عصتك يد
فالآن لا عين ولا أثر ... أتراك غيّب شخصك البلد
وتراك بالعذراء في عرس ... أم إذا كذبت سطا بك الأسد
الملك لا يبقى على أحد ... والموت لا يبقى له أحد

وهكذا يتبين لنا في نهاية المطاف أن شعر المعتمد بن عباد في كثير من جوانبه يسجل بل ويرصد ظاهرة الانتماء بمختلف أنواعه، أسري ومكاني وعرقي وسياسي واجتماعي وأدبي وديني، كما يرصد ظاهرة الوضوح في شعره وعدم الغموض الذي يدل على وضوح تجربة الشاعر. كما كان دقيقاً في اختيار ألفاظه وكلماته التي توحي بما يدور في خاطره، وجاء الجمال في شعره طبيعياً، فتشبيهاته سهلة ومألوفة وصوره جميلة تبعث باللذة، وموسيقاه منسابة، لا قلق ولا اضطراب، وكل ذلك نابع من تملك الحس وصدق العاطفة التي انبعث عنها هذا الشعر.

هوامش البحث

١- ابن الأبار: الحلة السيراء ١ / ٣٦.
٢- ابن عذاري: البيان المغرب ٢ / ٦٢، المقري: نفح الطيب ٣ / ٥٤.
٣- ابن السام: الذخيرة ق١ م٢ ص٢٢٢.
٤- ديوان ابن خفاجة، ص٣٦٤.
٥- د. فاروق أحمد سليم: ظاهرة الانتماء في الشعر الجاهلي، ص٩
٦- اللسان، مادة (نمى).
٧- انظر نسبه كاملاً في الحلة السيراء لابن الأبار، ٢ / ٣٤.
٨- السابق، ص٣٨.
٩- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢ ص٤٣.
١٠- السابق، ص٤٥.
١١- المقري: نفح الطيب، ٤ / ٢٦٤.
١٢- ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢ / ٣٥، ونفح الطيب ٤ / ٣٢٢٦.
١٣- ابن خاقان: قلائد العقيان، ١ / ٩٢.
١٤- السابق ١٤، وابن بسام: الذخيرة ٢ / ٢٤٥.
١٥- هنري بيرنس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ترجمة د/ الطاهر أحمد مكي، ص٢٣٠، ٢٣١.
١٦- الديوان، ص٩٩.
١٧- السابق، ص١٠٩.
١٨- السابق، ص٩٢.
١٩- السابق، ص٣٧، ٣٨.
٢٠- ماجدة محمود:اللغة الشعرية لدى فدوى طوقان،مجلة علامات،ج٨،م٧،ص١٤
٢١- الديوان، ص٨٩.
٢٢- د. أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس.
٢٣- الديوان، ٨.
٢٤- الديوان، ص٢٣.
٢٥- السابق، ص٩، ١٠.
٢٦- السابق، ص١١٤.
٢٧- السابق، ص١٠٧.
٢٨- فايز الداية:جماليات الأسلوب،ص٨٢
٢٩- هنري بيريس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص٢٧٨.

٣٠- الديوان، ص٢٢.
٣١- السابق، ص٢٠.
٣٢- المقري:النفح ١ / ٦٤.
٣٣- الديوان، ص١٨، ١٩.
٣٤- الفتح بن خاقان:قلائد العقيان ١ / ٦٤.
٣٥- الديوان، ص٧.
٣٦- المراكشي، المعجب ص٢١٨.
٣٧- الديوان، ١٦.
٣٨- أحمد الهاشمي:موجز البلاغة،ص٩٥
٣٩- ابن بسام: الذخيرة ٤ / ٢١٢، ٢١٣، وانظر رسالة ماجستير للباحث عن شعر ابن عمار، مودعة في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٠.
٤٠- الديوان، ص١٤.
٤١- الديوان، ص٣.
٤٢- الديوان، ص١٩.
٤٣- الديوان، ص١٠.
٤٤- الديوان، ص٨.
٤٥- الديوان،ص١٣
٤٦- الديوان،ص٦
٤٧- أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس، ص٩١.
٤٨- الديوان، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧.
٤٩- د. الطاهر مكي: دراسات أندليسية، ص٢٤٠، ٢٤١.
٥٠- د٠فاضل والي:الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي،ص٢٩٩
٥١- د٠عبد الحميد حسن:الأصول الفنية للأدب،ص٧١
٥٢- عيسى علي العاكوب:العاطفة والإبداع الشعري،ص٢٧٤
٥٣- أحمد أحمد بدوي:أسس النقد الأدبي،ص٥٠٥
٥٤- إبراهيم السامرائي:لغة الشعر بين جيلين،ص٨
٥٥- الديوان، ٦٨، ٦٩.
٥٦- الديوان، ٧.
٥٧- د٠أحمد حسانين:النزعة الذاتية في شعر المعتمد،ص٤٦
٥٨- الديوان، ٤٦.
٥٩- الحلة السيراء ٢ / ٧١.
٦٠- الديوان، ٤٦.

٦١- القلائد: ٣٨، ٣٩.
٦٢- الديوان، ٤٨.
٦٣- الديوان، ١١٢.
٦٤- أحمد ضيف: بلاغة العرب في الأندلس، ص١٢٥.
٦٥- د٠عبده بدوي:بلا رحمة،شعر المعتمد بن عباد،ص١٢١
٦٦- أحمدالشايب:أصول النقد الأدبي،ص١٩٣
٦٧- عبد القادر أبو شريفة:مدخل إلى تحليل النص الأدبي،ص٢٥
٦٨- الديوان، ١٠٠، ١٠١.
٦٩- الديوان، ٩٠.
٧٠- ابن بسام: الذخيرة ٤ / ٢٨٤.
٧١- الديوان، ١٠٨.
٧٢- صلاح الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق محمد الحجيري، ط٢، ص٤٣١
٧٣- أحمد أمين : ظهر الإسلام،ص٨
٧٤- المقري: نفح الطيب، ١ / ١٥٩.
٧٥- ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢ / ٦٣.
٧٦- د/ جريدي المنصور الثبيتي: شاعرية المكان،، ص١٠.
٧٧- الديوان، ص١١، ١٢.
٧٨- ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢ / ٢٠٠.
٧٩- السابق. ٢/٢٠٠
٨٠- المقري: نفح الطيب، ١ / ١٩. ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٢ / ٦.
٨١- د/ أمل عميرة: المكان في الشعر الأندلسي، ٢٦.
٨٢- ابن خاقان: القلائد، ص٦٧.
٨٣- الديوان، ص٦٥، ٦٦.
٨٤- ابن الأبار: الحلة السيراء، ٢ / ١٧٦، المقري: نفح الطيب ١ / ٦٢٦.
٨٥- الديوان، ٦٩.
٨٦- د/ جريدي المنصور الثبيتي: شاعرية المكان، ص١٧٠.
٨٧- المقري: نفح الطيب، ٤ / ٢١١.
٨٨- الديوان، ص٩٨، ٩٩.
٨٩- المقري: نفح الطيب، ١ / ٦٩١، ٢ / ٢٨٥.
٩٠- ديوان: أحمد شوقي، ص٦١٩، تحقيق علي عبد المنعم، الشركة المصرية
٩١- الديوان، ص٨٨، ٨٩.
٩٢- د/ الطاهر مكي: دراسات أندلسية، ص٢٣٨.

٩٣- تركي المغيض: جماليات المكان في شعر عرار، مجلة مؤتة، ع٢، ص٨٩.
٩٤- د/ أمل عميرة: المكان في الشعر الأندلسي، ص٢٦.
٩٥- الديوان، ص١١٥.
٩٦- د٠الطاهر مكي:الشعر العربي المعاصر،روائعه ومدخل لقراءته،ص٧٦
٩٧- علي إبراهيم أبو زيد:الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي،ص٢٤٢
٩٨- د. أمل عميرة: المكان في الشعر الأندلسي، ص٢٦.
٩٩- الديوان، ص٩٤.
١٠٠-نفسه، ص١١١.
١٠١-د٠فتحي والي: الفتن والنكبات الخاصة،ص٣٠٦
١٠٢-الديوان، ص٩٥.
١٠٣-محمد أحمد إسماعيل: بناءفضاءالمكان في القصةالعربية القصيرة،ص٨٧
١٠٤-محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ط٢،ص٥٨
١٠٥-فاطمة طحطح: الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، ص١٦٠.
١٠٦-د/ سعد شلبي: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر الطوائف، ص٣١٣
١٠٧-عبد الرحمن الهليل:التكرار في شعر الخنساء،دراسة فنية،ص٢٦
١٠٨-د٠أحمد الشايب:أصول النقد الأدبي،ص٢٤٢
١٠٩-الديوان، ص٩٨.
١١٠-د٠عبد القادر الرباعي:الصورة الفنية في شعر أبي تمام،ص١٦٩
١١١-علي إبراهيم أبو زيد:الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي،ص٢٤٢
١١٢-الديوان، ص٩٩.
١١٣-إبراهيم الغنيم:الصورة الفنية في الشعر العربي،مقال ونقد،ص٨٨
١١٤-د. حمدي أحمد حسانين: الزمن في شعر ابن خفاجة،دراسات خاصة،ص٤٤
١١٥-المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٢٥.
١١٦-السابق، ص١٢٩.
١١٧-ديوان ابن زيدون، ص٢٠ ٥، ٥٢١
١١٨-ابن خاقان: قلائد العقيان، ص٩٤.
١١٩-ديوان المعتمد، ص٧٦، وانظر النفح ٣ / ٦١٢، والحلة السيراء ٢ / ٦٩.
١٢٠-الديوان، ص١١٧.
١٢١-د/ أمل عميرة: المكان في الشعر الأندلسي، ص٥٢.
١٢٢-ابن بسام: الذخيرة مج١، ق٢ / ٥٠٨.
١٢٣-الأمير شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخباروالآثارالأندلسية، ج٣، ص٥٣٣، نقلاً عن كتاب الجمان.

١٢٤- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٦٧.
١٢٥- الديوان،ص٣٨-٣٩
١٢٦- ابن عذاري: البيان المغرب ٢ / ٢٠.
١٢٧- هنري بيريس: الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، ص٢٣٦.
١٢٨- دوزي: تاريخ مسلمي أسبانيا، ج٢، ص١٣٩، نفح الطيب ٣، ٤١٢.
١٢٩- المقري:نفح الطيب،٤/٢٧٦، نقلاً عن الحجاري في المسهب.
١٣٠- هنري بيريس: الشعر الأندلسي، ص٢٦.
١٣١- ابن خاقان:القلائد، ص٩٧،المراكشي: المعجب، ص١١٦.
١٣٢- ابن خاقان:القلائد، ص٨٨.
١٣٣- انظر: د/ سعد شلبي: البيئة الأندلسية، ص٥٣، ص٤٠٣. وانظر أيضاً: د/ صلاح خالص: إشبيلية في القرن الخامس الهجري، الفصل الأول، ص٢٩.
١٣٤- الديوان، ص٢٧.
١٣٥- السابق، ص٣٠.
١٣٦- السابق، ص٦٥.
١٣٧- السابق، ص١٥.
١٣٨- انظر: مقدمة الديوان، ص٥.
١٣٩- الديوان، ص٩٢.
١٤٠- الديوان، ص٩٤، وكذلك ص١١٧.
١٤١- انظر: ديوان المعتمد، ص٣١ وما بعدها، ص٤٦ وما بعدها.
١٤٢- انظر: مقدمة التحقيق لديوان المعتمد، ص٢٧، والديوان، ص١١٦.
١٤٣- ابن هشام الأنصاري:مغني اللبيب،ج١ص١٣
١٤٤- الديوان، ٤٨.
١٤٥- السابق، ص١٧.
١٤٦- المرلكشي:المعجب، ص٧١.
١٤٧- بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٧٨.
١٤٨- الديوان، ص٢٩.
١٤٩- السابق، ص٣٤.
١٥٠- السابق، ص٣٣.
١٥١- بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي، ص٩٥.
١٥٢- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣ / ٢١.
١٥٣- د/ سعد شلبي: البيئة الأندلسية، ص٣٤٩.
١٥٤- عبد الله ثقفان:الأدب الأندلسي بين حقيقته ومحاولة اغتياله،ص٢٤٦

١٥٥- الديوان، ص٢٨.
١٥٦- السابق، ص١١٢.
١٥٧- د٠أحمد النعمي: القول الفصل بين ابن عباد وابن تاشفين،المجموعة الثالثة.
١٥٨- غرسيه غومث:مع شعراء الأندلس والمتنبي،تعريب د.الطاهر مكي،ص٢١
١٥٩- ابن الأبار الحلة السيراء،٢/٥٥
١٦٠- الديوان، ص٤٠.
١٦١- ابن عذاري :البيان المغرب،٤/١٣٠:١٣٨
١٦٢- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٢٨١.
١٦٣- الديوان، ص٥٣.
١٦٤- السابق، ص٩٣.
١٦٥- السابق، ص٩٦.
١٦٦- السابق، ص٨٩.
١٦٧- السابق، ص٨٧.

مصادر البحث و مراجعه

أولاً : المصادر

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، لسان الدين بن الخطيب، تحقيق وتعليق، ليفي بروفنسال، دار المكشوف بيروت، لبنان .
- البيان المغرب لابن عذاري المراكشي، تحقيق كولان وبروفنسال وإحسان عباس، بيروت ط ٣، ١٩٨٣ .
- الحلة السيراء لابن الأبار، تحقيق د / حسين مؤنس، دارالمعارف، ط ٢، ١٩٨٥.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، تحقيق د / إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٩٧.
- المطرب من اشعار أهل المغرب لابن دحية، تحقيق إبراهيم الإبياري، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥٤ .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي، صححه محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة ط ١، ١٩٤٩ .
- المغرب في حلي المغرب لابن سعيد، تحقيق د / شوقي ضيف، دار المعارف، ط٢، ١٩٦٤.
- الوافي بالوفيات للصفدي، من سلسلة النشرات الإسلامية التي تصدرها جمعية المستشرفين الألمانية .
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي، نشر وتحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، ١٩٤٨.
- ديوان أحمد شوقي، تحقيق وتبويب د / علي عبد المنعم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان.
- ديوان ابن خفاجة، تحقيق د / السيد مصطفي غازي، دار المعارف، الإسكندرية ١٩٦٠.
- ديوان ابن زيدون، شرح وتحقيق علي عبد المنعم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٥٧.

- ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق أحمد أحمد بدوي و حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥١.
- ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، تحقيق د / رضا الحبيب السوسى، الدار التونسية ١٩٧٥م .
- ديوان ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق د / محمد مجيد السعيد، منشورات جامعة البصرة، العراق، ١٩٧٧.
- صفة جزيرة الأندلس، نشر ليفي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧.
- قلائد العقيان ومحاسن العقيان للفتح بن خاقان، تحقيق د / حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار، الأردن، ط١٩٨٩،١
- لسان العرب لابن منظور، دار المعارف بمصر.
- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري التلمساني، تحقيق د / إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٤.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، ١٩٤٥.

ثانياً : المراجع

- إشبيلية في القرن الخامس الهجري، د / صلاح خالص، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥ .
- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية ١٩٩٠.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتي سقوط الخلافة، د / أحمد هيكل دار المعارف، ط٧، ١٩٧٩.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتي سقوط غرناطة، د / منجد مصطفي بهجت، مديرية دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- الأدب العربي في الأندلس، د / عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٦هـ.

- الأصول الفنية للأدب، عبد الحميد حسن، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤.
- البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر، عصر ملوك الطوائف، د / سعد شلبي، دار نهضة مصر.
- التكرار في شعر الخنساء، دراسة فنية، عبد الرحمن الهليل، دار المؤيد، الرياض، السعودية، ط١، ١٩٩٩.
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية للأمير شكيب أرسلان، الجزء الثاني، عيسي الحلبي، ط ١، ١٩٣٩.
- الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، د / فوزي عيسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١.
- الشعر العربي المعاصر، روائعه ومدخل لقراءته، د/ الطاهر مكي، دار المعارف.
- الصورة الفنية في الشعر العربي، مقال ونقد، إبراهيم الغنيم، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٩٩٦،١.
- الصورة الفنية في شعر أبي تمام د / عبد القادر الرباعي، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ط ١، ١٩٨٠.
- الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، علي إبراهيم أبو زيد، دار المعارف، القاهرة ط١٩٨١،١.
- العاطفة والإبداع الشعري، عيسي علي العاكوب، دار الفكر، دمشق ط٢٠٠٢،١.
- الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، د / فاطمة طحطح، منشورات كلية الآداب بالرباط، جامعة محمد الخامس، المغرب، ١٩٩٣.
- الفتن والنكبات وأثرها في الشعر الأندلسي، د / فاضل فتحي والي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، ط ١، ١٩٩٦.
- المجالس الأدبية بالأندلس، د / عبد الله ثقفان، نادي أبها الأدبي، ط ١، ١٤١٥هـ.

- المعتمد بن عباد، علي أدهم، المركز الثقافي العربي للثقافة والعلوم، بيروت .
- المعتمد بن عباد الملك الجواد الشجاع الشاعر، د/ عبد الوهاب عزام، دار المعارف ١٩٥٩.
- الانتماء في الشعر الجاهلي، د / فاروق أحمد أسليم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨ .
- بلاغة العرب في الأندلس، د / أحمد ضيف، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس .
- بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة، محمد أحمد إسماعيل، دولة الإمارات العربية المتحدة، حكومة الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٢ .
- تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين، د / إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط ٦، ١٩٨١.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) د / محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، ط ٣، ١٩٩٢ .
- تراجم إسلامية شرقية وأندلسية، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط ٢، ١٩٧٠ .
- جماليات الأسلوب، فايز الدايه، مديرية مكتبة المطبوعات الجامعية، جامعة حلب، ١٩٨٩.
- دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، د / الطاهر مكي، دار المعارف، ط ٣، ١٩٨٠ .
- دول الطوائف من قيامها حتي الفتح المرابطي (العدد الثاني) من كتاب دولة الإسلام في الأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢.
- شاعرية المكان، د / جريدي منصور الثبيتي، دار العلم للطباعة والنشر، السعودية.
- شعر الأسر والسجن في الأندلس، جمع وتوثيق ودراسة، د / نسيم عبد العظيم، مكتبة الخانجي القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦ .

- ظهر الإسلام، الجزء الثالث، احمد امين، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ١٩٥٣ .
- عصر الدول و الإمارات (الأندلس) د / شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة .
- قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي، د / أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو.
- لغة الشعر بين جيلين، إبراهيم السامرائي، دار الثقافة، بيروت، د.ت .
- مدخل إلي تحليل النص الأدبي، عبد القادر أبو شريفه، دار الفكر، عمان ١٩٩٠ .
- مغني اللبيب، ابن هشام الأنصاري، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٧ .
- موجز البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١، ١٩٩٩ .

ثالثا :الكتب المترجمة

- الشعر الأندلسي، إميليو غرسيه غومث، ترجمة د/ حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة .
- الشعر الأندلسي في عصر الطوائف، هنري بيريس، ترجمة د/ الطاهر مكي، دار المعارف.
- الشعر العربي في إسبانيا وصقلية، فون شاك، ترجمة د / الطاهر مكي، دار المعارف .
- تاريخ الفكر الأندلسي، أنخُل جونثالث بالنثيا، ترجمة د / حسين مؤنس،مكتبة النهضة العربية، ط١، ١٩٥٥.
- حضارة العرب في الأندلس،ليفي بروفنسال،ترجمة دوقان قرقوط، مكتبة الحياة ،بيروت.
- مع شعراء الأندلس والمتنبي، إميليو غرسية غومث، تعريب د/الطاهر مكي، دار المعارف.

رابعاً : الدوريات

- الأدب الأندلسي بين حقيقته ومحاولة اغتياله، د/عبد الله بن سقفان، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية، ع١٧، ١٩٩٩.
- الزمن في شعر ابن خفاجة،د/حمدي حسانين، دراسات خاصة،مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق،أغسطس ٢٠٠١م.
- النزعة الذاتية في شعر المعتمد بن عباد"في المنفى" د/حمدي حسانين، مجلة كلية الآداب،جامعة الزقازيق، ع٤٧، ٢٠٠٨.
- بلا رحمة، شعر المعتمد بن عباد، عبده بدوي، مجلة الحرس الوطني، السعودية، ع٢٣٥/٢٠٠٢م-١٤٢٢هـ.
- جماليات المكان في شعر عرار، تركي المغيض، مجلة مؤتة، ع٢/١٩٨٩.
- القول الفصل بين ابن عباد وابن تاشفين، د/أحمد النعمي، ضمن أبحاث النادي الأدبي الثقافي بجدة، المجموعة الثالثة، ط١٤٠٧،١-١٩٨٦م.

خامسا: الرسائل الجامعية

- الحنين والغربة في الشعر الأندلسي، مها روحي إبراهيم ،رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا.
- الشعر السياسي في الأندلس من الفتح إلى عصر المرابطين، رسالة دكتوراه للباحث، مودعة في كلية دار العلوم١٩٩٥م.
- المكان في الشعر الأندلسي د / أمل عميرة، رسالة دكتوراه، جامعة أم القري، كلية اللغة العربية، ٢٠٠٦.
- شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر) رانية أبو لبده، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا.
- شعر ابن عمار الأندلسي ،جمع وتوثيق ودراسة ،رسالة ماجستير للباحث،مودعة في كلية دار العلوم ١٩٩٠م.